القسم الثّاني

قراءات نقديّة في قصص لِ

كاملة بدارنة

(قرأوا لي)

obeikandl.com

obeikandl.com

العنكبوت / كاملة بدارنة

نسجت العنكبوت خيوط بيتها في زاوية فوق سرير الزّوجين، محتلّة مساحة واسعة من تلك الزّاوية، وكأنّها واثقة من ديمومة الإقامة.

نظر الزّوج بعينيه اللّتين أثقل تعب النهار جفنيهما إلى أعلى الغرفة ليريحهما، فوجسَ خيفةً، لأنّ عيونا جاحظة تحدّق به .

استعاذ من الشّيطان وفرك عينيه ليمعن النّظر فيما تراءى له، فرأى العيون لا تزال ترسل سهام نظراتها صوبه.

قفز من مكانه ورجيف قلبه يراقص جنبات صدره، أحضر عصا ليهدم البيت على ما فيه، إلّا أنّ العنكبوت استطاعت الإفلات، ووقعت أرضا. فبدأت رحلة البحث المضنية، حيث لم يترك بقعة إلّا ونبشها إلى أن تمكّن من إيجادها متشبّثة بأسفل السّرير، في بيت يختلف عن ذاك الذي قطّع أوصال شباكه. لمس الخيوط بعصاه وهو يدرك أنّ أوهن البيوت بيت العنكبوت، ولكنّه لم يستطع له نقبا، وكأنّ تلك الخيوط الحريريّة قد أصبحت مطّاطيّة ومتماسكة، تتجول العنكبوت داخلها بحرية واطمئنان.

اعتراه العجب، وازداد ارتفاع صدره وهبوطه، فقرر اقتلاع البيت بأكمله. أخذ سكّينا وبدأ بنزع الأوتاد اللّاصقة بخشب سريره، وكلما أفلح بانتزاع واحد، أحسّ أنّ العنكبوت تفرز نسيجا جديدا حولها لحماية نفسها، وفي ذات الوقت تضاعِف غدّته الكظرية إفراز "الأدرينالين"، ممّا جعل التّعب ينال من جسمه الحظّ الوفير.

استمر في محاولته إلى أن خارت قواه، لأنّ حصن العنكبوت كان منيعا. فوقع أرضا وجسمه ينضح عرقا.

عزفت الساعة ألحانها معلنة السّابعة صباحا، فاذا به يستفيق مذعورا وباحثا في جنبات

غرفته، مقلّبا فراشه الذي غادرته زوجته لتحضّر طعام الإفطار للعائلة. لكنّ محاولاته باءت بالفشل، ولم يجد العنكبوت، رغم أنّه يدرك أنّ شعار النّظافة هو من شعارات زوجته المقدسّة، وأنّها لا تسمح لتلك الخيوط الواهية أن تمكث في بيتها لحظات – هذا إن أفلحت العنكبوت في دخول البيت! إلّا أنّ بعضا من الخوف الذي عاشه أثناء حلمه قد ترك عليه أثرا في يقظته.

دخلت زوجته الغرفة متفاجئة من الفوضى التي أحدثها ، وسائلة إيّاه عمّا يبحث، فأخبرها أنّه رأى في منامه عنكبوتا في السّرير، وربما يكون ما رآه حقيقة .

أفترت شفتاها عن ابتسامة ساخرة هامسة: لا تجرؤ حشرة أصغر من العنكبوت على دخول بيتي، فاطمئنْ!.

غادر البيت متوجّها إلى عيادته، والأفكار تجول تلافيف دماغه وتأبى أن تلقي عصا التّجوال. فهو يخاف العناكب منذ صغره، حيث وضع له أحد التلاميذ عنكبا في حقيبته، ولمّا أخرج كتبه صرخ هلعا، فأثار ضحك وسخرية زملائه!.. . فلماذا يرى العنكبوت الآن في منامه وتحديدا في غرفة نومه؟!

داهمته التساؤلات والحيرة...

بحث بين كتبه عن كتاب لتفسير الأحلام أهدته إيّاه ذات مرة إحدى مريضاته، التي تؤمن كثيرا بهذه التفسيرات التي كتبها "ابن سيرين". اطّلع على باب تأويل الهوام والحشرات في المنام، فاذا بتفسير رؤية العنكبوت في المنام لما يثير الاستغراب والعجب . فهي امرأة فاسقة تهجر زوجها...

طوى الكتاب وأبعده عنه متضاحكا، ثم أكمل يومه والتّعب ينال من جسمه نصيبا، والفكر يحتلّ من عقله مساحة!

ما لهذا الكابوس اللّعين يرسم دائرة حولي، مطوّقا فكري وجسدي؟!

كيف أسمح أنا الطّبيب لمثل خرافات التّفسير هذه، أن تأخذ دقيقة من وقتي؟! يجب وضع حدّ لذلك!

خاطب نفسه وجلس أمام شاشة التلفاز بعد عودته إلى بيته،، ثقلت أهداب جفنيه محاولة شدّهما إلى الأسفل للإغماض،

فتحوّلت صور بعض النساء المعروضة أمامه مسوخا لعناكب تحدّق فيه عبر زجاج الشاشة.

غضب وترك الغرفة ممسكا رأسه بكلتا يديه لثقله. وما أن رمى برأسه على مخدّته، حتى تحوّلت كلمات تفسير "ابن سيرين" إلى شريط لا يتوقف عن العرض أمام عيون مخيّلته. امرأة فاسقة... امرأة فاسقة...

استجرّ لشيطان تفكيره الذي صرعه، وبات عبدا له.

فكّر ب "أسمى" زوجته، التي تذكّر أنّها قلّلت من اهتمامها به خلال الأسبوع الأخير، بعد أن كانت تكثر من مهاتفته، وإرسال الرسائل الخليوية، لتخبره بكلّ شاردة وواردة.

تفحص الرسائل فوجد أنّها لم تكتب له منذ عشرة أيام!

أيعقل أن يكون هذا الحلم تنبيها لي لفحص سبب انشغال زوجتي عنّي؟... تساءل محتارا، وبدأت تتجاذبه حبال الشكّ يمنةً، وخيوط اليقين يسرة!

جلس يرتشف قهوة الصّباح مع "أسمى"، وأثناء حديثهما طلب منها أن تتصل به عندما تريد أن تذهب لقضاء حاجاتها، وألّا تتردّد كثيرا على صالونات التّجميل كما اعتادت، والأفضل أن تكون ملابسها أكثر احتشاما وذات ألوان داكنة!

استغربت "أسمى" هذه الطلبات المفاجئة، لكنها لم تمتعض. وقالت له: سأحادثك فيما بعد.

مرّ أسبوع والزّوج لا يعرف هدأة للبال، فصار يخرج أحيانا بعد أن تتصل به زوجه ليتأكد من صحة ما تخبره به. ولكم صعق بعد أن رأى سيارة "أسمى" رابضة أمام محل لبيع الملابس الرّجاليّة.

دخل خلسة إلى المكان، جال في أركانه، فلم ير زوجته، اخترق أذنيه صوت رقيق يحادث

رجلا ينبعث من آخر الردهة، تتبع الصوت، فرأى أن زوجته تجلس قبالة الرّجل، وعلى يمينها مغلّف منتفخ حاولت إخفاءه لمّا رأته ،وهمّت بتحريك شفتيها لترشّ في وجهه أجمل كلماتها كما عوّدته! إلّا أن شفتيها بقيتا متشنّجتين عندما طرقت مسامعها كلمة (ط ا ل ق) من زوجها الذي لم يتمالك أعصابه، ورجمها بكلمات شريط كابوسه التي لم تفهمها: العنكبوت امرأة فاسقة !...

في المساء، قرع أحدهم باب بيته ليقدم له مغلّفا منتفخا، طبعت عليه قصيدة كان يكثر من إسماعها لزوجته، وأبلغه أنّ امرأة تدعى "أسمى" كانت قد طلبت إيصال هذه الهديّة في هذا الوقت إلى هذا العنوان!

تبعه آخر يقدم له باقة من الورود المزّيّنة بكلمات شبكَتْها خيوط حريريّة: يوم ميلاد سعيد، وحياة رغيدة، ومعا إلى الأبد!

obeikandl.com

مستويات السّرد في قصّة "العنكبوت"

نحن أمام ثلاث مستويات من السرد وليس مستوى واحد ؛ الأول مستوى الرؤيا وما يتعلق بها من غيب وتحليق ومراوحة بين الشك واليقين، والحقيقة والظنون، والخيال والواقع. وقد احتل هذا المستوى الربع الأول تقريباً من مساحة القصة المكانية والزمانية المردودة للزمن المستغرق في إيصال الفكرة العامة للمتلقي من ناحية ، ومن ناحية أخرى ذلك العامل الزماني المتعلق بسيطرة الفكرة البغيضة المتخيلة على عقل البطل ووجدانه؛ بشكل استدعى إعاشة المتلقي معه في تلك المساحة الكبيرة من مصارعة الرؤى، وعوالمها الغيبية وإشاراتها البغيضة، وتجاذبات تأويلاتها الشنيعة ، ثم صراعها السريع مع الواقع وتنزيل تلك التأويلات على أحوال الزوجة، ومقارنتها بتصرفاتها .. الخ ، وهذا المستوى صادف لدى ارتياحاً وقبولاً مع إمتاع حقيقي عند حسم المسألة ووضع الفاصلة بين الحلم والحقيقة والخيال والواقع واكتشاف أن السرد هنا ينتمى الى عوالم أخرى غير الواقع المعاش .

كان الانتقال بين المستويات السردية الثلاث ، ومن عوالم الرؤى وتأويلاتها وغرائبها إلى عالم الواقع وتشابكاته الاجتماعية والعاطفية والزوجية أحد علامات الإمتاع في النص لسبب جوهري ؛ أننا أمام حلول كثيرة لعقد متنوعة ولسنا أمام حل واحد لعقدة واحدة كأيّ نص تقليديّ يعتمد على هذا المستوى الأحاديّ من السرد ، حيث تختفى العقدة بإدهاشها ومفاجآتها وصدمتها عادةً إلى نهاية النص المحبوك . أما هنا فتتعدد العقد والحلول والإدهاش والمفاجآت عقب الانتقال من مستوى سرد إلى الذى يليه ، وها نحن أمام عقدة وحل بعد الربع الأول من النص عند اكتشافنا أن ما كان يراه ويصارعه البطل من عنكبوت مطاطيّة عنيدة لم يكن إلّا نزيل رؤيا حبست البطل معها في زنزانة الشكوك والهوس المَرَضيّ الذى يحيل حياة الإنسان الاجتماعية إلى جحيم لا يُطاق .

المستوى الثاني من السرد في هذه القصة ينتقل بنا إلى عالم الواقع ، ومن مصارعة العنكبوت اللزجة في المنام إلى مصارعة الشكوك والأوهام على خلفية هذه الرؤيا الغرائبية، وما يتعلق بشكوكه حول كونه مجرد حلم أم حقيقة؟ وانتقالنا معه إلى واقع البيت النظيف

والزوجة " النظيفة " الحريصة على نظافة منزلها من أن تدخله ولو عنكبوت متطفلة أو ما هو أقل وأدق منها من الحشرات ، ثم بتاريخ علاقته مع العناكب وخوفه المرضى منها ، وفى تلك الإشارة العارضة لحادثة التلميذ وما فيه من سخرية منه ، توظيف جيد لحصاد رسائل القصة الاجتماعية ؛ فليس كل ما يخافه الانسان يؤذيه أو يضره أو تصدق فيه هواجسه وشكوكه ، فقد يكون هذا الهاجس نتيجة موقف عارض صنع هذه الحالة من الارتياب والتوجس، ويبدأ هذا المستوى من السرد بقول الكاتبة : " عزفت الساعة ألحانها معلنة السّابعة صباحا ، فإذا به يستفيق مذعوراً وباحثاً في جنبات غرفته، مقلّبا فراشه الذي غادرته زوجته ... الخ"

المستوى الثالث من السرد فى هذه القصة المميزة أداءً ومضمونا هو محاولة حل الإشكالية بين الغيب والشهادة ، وفض الاشتباك بين الرؤيا والواقع ، وقد شهد هذا المستوى تصاعدا حادا لدرامية القص ، كأننا أمام قصة جديدة مستقلة بذاتها وبأحداثها المتعاقبة وعقدتها المخيفة وحبكتها الشاردة ، ويبدأ هذا المستوى بقول الكاتبة : " ما لهذا الكابوس اللّعين يرسم دائرة حولي ، مطوّقا فكري وجسدي؟

كيف أسمح أنا الطّبيب لمثل خرافات التّفسير هذه ، أن تأخذ دقيقة من وقتي ؟! يجب وضع حدّ لذلك ... الخ " .

وشرود الحبكة هنا لأنها ببساطة تكررت الإشارة إليها خلال ختم المستويات المتقدمة من خلال الإشارة لنظافة الزوجة، ومن خلال تفاصيل الحلم ذاته. فتفسير رؤية العنكبوت بالمرأة الفاسقة اللعوب أو التي تهجر فراش زوجها لم يضع في اعتباره هذه الحالة الخاصة ، لأننا أمام عنكبوت لزجة مطاطية عنيدة لا تستسلم بسهولة وتأبى الانصياع وعصيّة على الاختراق ، فاذا كان العنكب العاديّ واهنا ومستسلما وطيعا وسهلا هدمه ، فها نحن أمام نوع مقاوم وشرس وعنيد يغلب ويهزم من يريد النيل منه أو ايذاءه ، وبالعودة لتفاسير الرؤى نجد كثيراً ما كان لكل رؤيا عدة قراءات ولكل قاعدة استثناءات ، والشواهد على ذلك أكثر من أن تذكر ، وقد يشير وصف العنكبوت في الرؤيا إلى امرأة قوية محافظة مناضلة دون عرضها وإلى بيت راسخ عصي على الهدم.

ذهبت الهواجس والوساوس إلى مسار كارثي لأنها لم تُدرس جيداً ، وحلّ الشيطان محل

العقل ليفسر له بعض التصرفات الطارئة للزوجة على ضوء الرؤيا الغريبة ، ولو كان العقل حاضراً لدرس المسألة المصيرية بعناية قبل اتخاذ أي قرار يتعلق برباط مقدس وبعلاقة يباركها الرب جل في علاه ويرعاها ، وفى المقابل يحاول الشيطان قدر جهده تفكيكها ووضع الألغام في طريقها .

لو كان العقل حاضراً لكان تفسير الرؤيا أكثر دقة وعناية على الوجه الذى يرضى الله ولا يمنح للشيطان الفرص ، وهنا لا تكفى قراءة ابن سيرين ولا تفسيرات الأولين لرؤى مماثلة ، انما تفسير الرؤيا هنا كالفتوى تماماً يتعلق بحالة خاصة لا ينبغي معاملتها على ضوء كلام قاله الأولون في حالة مختلفة لها ظروفها المختلفة ، والحالة هنا مختلفة تماماً بأحداث في الرؤية تشير الى حشرة ذات صفات مناقضة تماماً للعنكبوت العادية ، وقد يذهب المفسر الحصيف اذا قص عليه بطل القصة ما رآه الى نقيض ما ذهب اليه الأولون ، فالأولى فاسقة طيعة سهلة المنال ، وهذه نظيفة عنيدة مقاومة تأبى الاستسلام وتصارع دون شرفها .

جاءت الحبكة الأخيرة لتتوج هذا السرد المتنوع المتدرج بفاصلتين دراميتين من الضخامة لتستوعبهما سطور قليلة متلاحقة ؛ فطلاق متهور يعقبه اكتشاف الحقيقة الغائبة والارتباط الأبدي ، لتلبى هذه السرعة الدرامية في تلك الأسطر القليلة غرض المتلقي ورغبته المتلهفة في الوقوف على تطورات الأحداث ونهاية القصة الشائقة ، وربما لبت الخاتمة أمنيات جميع القراء الذين تعاطفوا مع البطلة التي كانت " أسْمى " من كل شكوك وظنون في شرفها وسمعتها. .

هشام النجار

مصر

عيد سعيد/ كاملة بدارنة

تعالت أصوات الفتية في زقاق المخيّم بسماعهم صوت التّكبيرات، فخرج سعيد ليشاركهم الفرحة. وقف يتأمّلهم مسندا ظهره إلى لوح خشبيّ شبه مهترئ..

جاء أحدهم وبيده كرة ففرح الفتية، وبدأت الأيادي تتقاذفها، والأصوات تجلجل في الفضاء..

رمى فتى الكرة صوبه.. أسرع لالتقاطها بيديه، لكنّه فطن بأنّه نسيها هناك في بلدته .. تحت ركام بيتهم.

قراءة في قصّة "عيد سعيد"

إنه العيد الخاص بالفتى سعيد ، هذا ابتداء التأويل المنطقي للعنوان بعد الزحف السريع حُزناً إلى القفلة المُوجعة ؛ فالعيد هنا ليس بسعيد ومُبهج كما يلوح العنوان وكما نفهم من ثقافة الأعياد وتراث الأمم وتقاليد البلاد وسلوك البنات والأولاد .

هنا تختفى السعادة وتُقبرُ الفرحة وتنتهى البهجة ، ولا يصحُ اطلاقاً استخدام ما يرمز ويُوحى ويُشير الى معنى من معانى السعادة أو ملمح من ملامحها حتى ولو من بعيد .

بل يختفي حتى اسمُ بطل القصة في السطر الخامس ، وتلجأ الكاتبة للإشارة إليه بضمير الغائب دون التصريح بالاسم هكذا : " صوبه .. أسرعَ .. بيديه .. فطنَ .. الخ " ، لأن سعيد اذا وُضعَ هنا باسمه الإيحائي فربما يفهمُ بعض المتلقين أن لمحة من السعادة لم تزل باقية ، أو قد يظن البعض أن " سعيد " رغم هذا البؤس والعجز والقتامة فهو سعيد !

وكان التصريحُ بالاسم في مُستهل القصة فقط عندما كان الفتى في غمرة نسيانه وأحلامه وخيالاته التي صورت له إمكانية مشاركة الأولاد فرحتهم، واندماجه معهم في اللعبة .

هذا الإخفاء المُتعمد للاسم أخفى السعادة تماماً وأنهَى وجودَها بعد أن توهمنا أنها حاضرة ومن الممكن الشعور والالتصاق بها في بلاد العرب ، فضلاً عن أنه سربَ إلينا شعوراً ما غيرَ مُريح بعلاقة " سعيد " باسمه ؛ بحيث قرأنا وراء مشهد تصويب الكرة اليه ، وشروعه في التقاطها ناسيا عجزه عن هذا الفعل لأنه ببساطة بلا يديْن ولا ذراعين ، حيث فقدهما في غارة أو ما شابه ، قرأنا ضِيق سعيد باسمه ، وأنه يكره مُناداته بما يشير لمعنى السعادة وهو في الحقيقة حزين .. حزين وعاجز ويائس .

هكذا هو عيدُ الفتى سعيد ، كأنه اختزال لأعياد المسلمين والعرب التي بلا فرحة حقيقية ؛ فلا قوة ولا قدرات تصد الهجمات وتردع الغاصبين ، فكل عام عيد بطعم العجز والإذلال والاحتقار .

إلى متى يتكرر ويُعاد هذا المشهد كأنه سيناريو عربي خاص بالعرب وحدهم دون شعوب الع قصة بدأتْ بالنهاية ، فكأني أقرأُ الرسالة هي "بغير اليقظة يكون الانزعاج ، و بدون العمل و المراجعة و قراءة كل مفردات الحياة بسرعة يكون تأنيبُ الضمير"

هذا سؤال بلا اجابة ، طالما أن العرب – حكامَهم – يهنئ بعضهم بعضا بالعيد ، بينما شعوبهم غارقة فى الفقر والجهل والذل والعار .

سيظل بلا اجابة ، طالما أن العرب – أَغنياءَهم – يتبادلون التهاني ويقرعون الكؤوس في الاحتفالات الباذخة المعزولة عن أنات المستضعفين والمقهورين والمهمشين والجوعى .

سيظل بلا اجابة طالما أن العرب – مفكريهم ونخبتهم – يتبادلون التهاني خارجَ اطار الوطن يخدمون الخارج وشعوباً أخرى بأفكارهم ورُؤاهم أكثر من خدمتهم لشعوبهم .

عيد سعيد ! ليس سعيداً بالمرة من كان هكذا عيده ، ومن توهمَ أنه من الممكن أن يفرح ناسياً واقعَ أمته الأليم .الم ، فهم عاجزون ، ضعفاء ، مُهانون ، محرومون من البهجة والفرحة وعاجزون عن اللعب ؟

هشام النّجار / مصر

ذات خريف/ كاملة بدارنة

تتناثر أوراق شجرة التّين العملاقة، القابعة منذ سنين في باحة الدّار، وصاحب البيت يجلس على كرسيّ هزّاز، تراقب عيناه الأوراق في حركتها، مسترجعا كلام زوجه التي تلحّ عليه كلّ خريف أن يقطع هذه الشّجرة؛ لأنّها لم تعد قادرة على تنظيف السّاحة من حبّات التّين، المتساقطة صيفا، وتستضيف أنواعا عديدة من الحشرات، وخريفا عندما تجري خلف الأوراق، والرّياح تنقلها من زاوية إلى أخرى...

جرّته حبال الذّاكرة إلى أيّام طفولته، حين كانت والدته تجمع حبّات التين؛ لتجفيفها على سطح البيت، بعد تغطيته بالقشّ، وتخاف عليه من الوقوع، حين يعتلي الجذع لقطف الحبّات المختبئة بين أوراق الأغصان العالية، بعدما نجت من مناقير العصافير، فتظلّ واقفة بقلق حتّى ينزل.

كان يساعدها أيضا بنشر الحبّات، فيعتلي السّطح على السّلّم الخشبيّ الذي تآكلت أجزاء كثيرة من خشباته؛ كي يحظى برضاها...

وهو في غمرة صعوده سلّم الذّكرى، وإذ بزوجه تخاطبه بصوت عالٍ: إلى متى ستبقى هذه التّينة مسبّبة لنا المشاكل، ومرهقة إيّاي؟ فأنا لم أعد شابّة يا أبا خالد.

هزّ برأسه، وضاعفت الهزّة من حركة كرسيّه، وأجابها: اليوم سترتاحين منها. فلكلّ شيء نهاية، ولكلّ المخلوقات خريف.

نزل إلى ساحة الدّار، تأمّل التّينة بتمعّن، ثمّ أمسك بغصن وكسره قبل أن يضع المنشار الكهربائيّ فوق أحد الفروع، فأحس نقاط الحليب التي سالت أرضا دموعا تبكي مأساة التّينة، ثمّ امتزجت بدموعه التي فاضت دون إدراك منه.. واستمرّ في عمليّة القطع؛ لئلّا يحنّ لعلاقته الوطيدة بهذه التّينة، فيتراجع عن قراره وتزداد المشاحنات وَأْ..

ها هي ذي التّينة أصبحت ملقاة على الأرض. هل رضيت؟

خاطب زوجه، والعرق تتدحرج حبّاته مرطبة ذرات التّراب التي غذّت شجرة الخير.

وفيما أمّ خالد تنظر، وبريق الفرح يشعّ من عينيها شاكرة زوجها على إراحتها وإزالة عبء ثقيل عن كاهلها، مرّت عجوز، ولّما رأت ما فعلوا بالتّينة وجمت للحظات ثمّ قالت غاضبة: ماذا فعلتم بالتّينة؟ كيف تتجرّؤون على قطع خير هذا البيت؟ هذه التّينة غرسها أحد الصّالحين من أجدادكم، وكانت وصيّته أن تحظى بالعناية، وأن يتصدّق أهل البيت من ثمرها... اللهمّ كُفّ الشّرّ عن هذا البيت، وامنع عنه غضبك بسبب فعلة أهله.!

تمتمت بهذه الكلمات، وأكملت طريقها، فيما ظلّ صدى تلك الكلمات يتردّد في فضاء البيت، فشعر أبو خالد بقشعريرة لم يشعر بمثلها من قبل، ونادى ربّه قائلا: اللهمّ ردّ عنّا فأل هذه الخَرِفَة، وشرّ خزعبلاتها!

لم يعد يطيق النّظر إلى تلك الفروع الملقاة أرضا، فدخل البيت، وأفكاره تروح وتجيء كخطواته التي تباطأت عمّا قبل.

تعب لكثرة ما رشقته حجارة الفكر، فعاد إلى كرسيّه، لكنّه لم يستطع النّظر إلى الشّرفة كما اعتاد، فنظر إلى صورة جدّه المعلّقة قبالته وأخذته الأفكار بعيدا؛ مستحضرا صور جدّه حين كان يجلس كلّ صباح صيفيّ، ومجموعة من أهل الحيّ بالقرب من التّينة، وسلّة التّين تدور على الحاضرين.

تُرى هل غرست يداك هذه التّينة، وجئت أنا قاطعا كلّ شيء؟! تسمّرت عيناه في الصّورة، وإذ به يرى حزنا فيهما يردفه غضب لم يسبق أن رآهما من قبل، فأحسّ بجفاف في ريقه، وخشي أن يصبح عاقّا لجدّه، بعدما دعا له وهو مسجّى على فراش الموت بالرّضا والتّوفيق...

أفرغ في جوفه كوبا من الماء، والشّعور بالعطش لا يُطفَأ وهجه، والنّظرات تزيد من قلقه وخوفه.. وبغتة يخترق جدار صمته صوت حفيده معاتبا: لماذا قطعت شجرة

التّين يا جدي؟! انظر إلى يدي التي تضاعف عدد حبّات الثآليل فيها. لقد تذكّرت عندما داويت إصبع زميلي في العام الماضي، وسمعتهم يقولون أيضا بأنّها شجرة مباركة فجئتك مهرولا.. لكنّ جدّتي أخبرتني بأنك قطعتها، وجاء صبية الحيّ وجرجروا الفروع والأغصان وأخذوها بعيدا..

لماذا فعلت ذلك؟ لماذا؟!

لم يستطع الإجابة، إذ أحسّ بضيق في صدره، وبعد أن أفلح باسترداد أنفاسه قال: سيكون خيرا، وسنجد حليب التّين للعلاج يا عزيزي.

هدّأ من روع الصّبيّ، لكنّه لم يستطع تهدئة مخاوفه... أيعقل أن يكون هذا إنذارا وتذكيرا بأنّ قطع التّينة كان خطئا كبيرا، إضافة إلى ما رأيته من نظرات جدّي؟

اللهمّ الطف بنا، وارضّ عنّا..

مرّ اسبوع دونما حدث يقلق، فاطمأنّ أبو خالد بعد أن عزله الخوف من عاقبة فعلته عن أقرانه وعياله، فقرّر دعوة أبنائه وأحفاده إلى وليمة عن روح جدّه الذي قرأ العتاب والملامة في عينيه.

اقترحت أم خالد أن يجلس الجميع في باحة الدّار التي نظّفتها احتفالا بتخلصها من النّحل، والذّبابّ، والنّمل، والورق المتطاير رغم نسمة الرّياح الخريفيّة الباردة.

وصل الأولاد والأحفاد، وبدوا كخليّة نحل في نشاطهم، وتحضيرهم للوليمة، ثمّ تحلّقوا حول موائد الطّعام، وقبل أن يبدأ البسملة، سأل عن سبب تغيّب ابنه الأصغر أمين، فأخبرته زوجه أنّه سيتأخر بسبب مسافر اتّصل به فجأة؛ ليقلّه إلى إحدى المدن البعيدة.. لا تنتظروه، سيأتي لاحقا ويأكل.

أصوات الملاعق المزعجة تدوّي في فضاء السّاحة، بعدما كانت تنعشه زقزقة العصافير صباحا ومساء، حتّى في الخريف العاري.

يأكل أفراد العائلة، ويثنون على أمّ خالد.. لا نكهة لطعام مثل طعام الأمّ. والوالد يأكل

دون تعليق على نسبة ملوحة الطّعام.

انتهت الوليمة، وأصغر الأبناء لمّا يأت بعد. وفيما قلب الأب يخبط قلقا، وإذ بكنّته تصيح: أمين تعرض لحادث سير، ونقل إلى المستشفى.

هرعت العائلة صوب المستشفى، وبقي هو واجما للحظات، ثمّ تذكّر التّينة، فنظر نحو مكانها، وهاله أن رأى أصلها لا يزال ثابتا في الأرض، فأسرع لإحضار الماء، وجثا على ركبتيه الواهنتين يرويها، ومخاطبا إيّاها بصوت عالٍ: يجب أن تورقي وتثمري.. يجب أن تعود البركة إلى هذا البيت.. يجب...

obeikandl.com

قراءة في قصّة "ذات خريف"

قبل أن أبدأ بتعقيبي هنا ، أود أن أعرّف شجرة التين لغايةٍ ، أوضحها لاحقاً .

التين شجرة كبيرة قد يصل ارتفاعها إلى أكثر من عشرة أمتار متساقطة الأوراق. تأخذ أشكالاً مختلفة من هرمية إلى كروية وقد تكون مفترشة. تخرج في العادة أفرع كثيرة وسرطانات من تحت الأرض حول الجذع. تعيش الشجرة بالمتوسط 70–50 عاماً وقد يصل إلى 100 عام في الظروف البيئية الملائمة. (1)

بسم الله أبدأ ..

" تتناثر أوراق شجرة التّين العملاقة، القابعة منذ سنين في باحة الدّار، وصاحب البيت يجلس على كرسيّ هزّاز، تراقب عيناه الأوراق في حركتها، مسترجعا كلام زوجه التي تلحّ عليه كلّ خريف أن يقطع هذه الشّجرة؛ لأنّها لم تعد قادرة على تنظيف السّاحة من حبّات التّين، المتساقطة صيفا، وتستضيف أنواعا عديدة من الحشرات، وخريفا عندما تجري خلف الأوراق، والرّياح تنقلها من زاوية إلى أخرى"...

في الجزئية السابقة ..

بدأتِ السرد بلسان الراوي العليم ، الذي يروي الأحداث دون تدخلٍ منه في مجرياتها .

شجرة تينٍ عملاقة ، تتناثر أوراقها في باحة الدار ، وظهور أول للشخصية الرئيسية الأولى ، صاحب الدار ، وكرسي هزاز ، تراقب عيناه أوراقها ، وما يدور في عقله في تلك اللحظة ، هو استرجاع كلمات زوجته ، الشخصية الرئيسية الثانية ، وجملة " لم تعد قادرة على تنظيف الساحة " توحي للقارئ بأننا هنا نتحدث عن شخصيتين مسنتين ، نال منهما الكبر .

"جرّته حبال الذّاكرة إلى أيّام طفولته، حين كانت والدته تجمع حبّات التين؛ لتجفيفها

obeikandl.com

على سطح البيت، بعد تغطيته بالقشّ، وتخاف عليه من الوقوع، حين يعتلي الجذع لقطف الحبّات المختبئة بين أوراق الأغصان العالية، بعدما نجت من مناقير العصافير، فتظلّ واقفة بقلق حتّى ينزل.

كان يساعدها أيضا بنشر الحبّات، فيعتلي السّطح على السّلّم الخشبيّ الذي تآكلت أجزاء كثيرة من خشباته؛ كي يحظى برضاها.."

انقطاع للتسلسل الزمني للقصة (فلاش باك) لاستحضار مشهد أو مشاهد ماضية ، لتلقي الضوء على موقف من المواقف للشخصية الأولى ، وذكرياته مع والدته وشجرة التين حين كان طفلاً ، فاختيار شجرة التين كان موفقاً لطول الفترة الزمنية

"وهو في غمرة صعوده سلّم الذّكرى، وإذ بزوجه تخاطبه بصوت عالٍ: إلى متى ستبقى هذه التّينة مسبّبة لنا المشاكل، ومرهقة إيّاي؟ فأنا لم أعد شابّة يا أبا خالد.

هزّ برأسه، وضاعفت الهزّة من حركة كرسيّه، وأجابها: اليوم سترتاحين منها. فلكلّ شيء نهاية، ولكلّ المخلوقات خريف.

نزل إلى ساحة الدّار، تأمّل التّينة بتمعّن، ثمّ أمسك بغصن وكسره قبل أن يضع المنشار الكهربائيّ فوق أحد الفروع، فأحس نقاط الحليب التي سالت أرضا دموعا تبكي مأساة التّينة، ثمّ امتزجت بدموعه التي فاضت دون إدراك منه.. واستمرّ في عمليّة القطع؛ لئلّا يحنّ لعلاقته الوطيدة بهذه التّينة، فيتراجع عن قراره وتزداد المشاحنات وَإ..

ها هي ذي التّينة أصبحت ملقاة على الأرض. هل رضيت؟

خاطب زوجه، والعرق تتدحرج حبّاته مرطبة ذرات التّراب التي غذّت شجرة الخير."

في الجزئية السابقة ..

بداية الحدث ، والحوار الأول بين الشخصيتين حول إصرار الزوجة على بتر هذه الشجرة التي أرهقتها ، وتعريف باسم الشخصية الأولى ، الزوج " أبو خالد " ، وتحرك الأخير لإنهاء هذه المسألة بعد طول مماطلة .

السؤال الذي يجب أن نسأله : هل كان للقطع الزمني والمكاني (فلاش باك) ضرورة في السرد ..؟

والجواب : نعم لأنه جاء ليعبر عن الصلة الحميمية بين الشخصية الزوج وهذه الشجرة ، وتمهيداً لبكائه لحظة بتر هذه الشجرة .

"وفيما أمّ خالد تنظر، وبريق الفرح يشعّ من عينيها شاكرة زوجها على إراحتها وإزالة عبء ثقيل عن كاهلها، مرّت عجوز، ولّما رأت ما فعلوا بالتّينة وجمت للحظات ثمّ قالت غاضبة: ماذا فعلتم بالتّينة؟ كيف تتجرّؤون على قطع خير هذا البيت؟ هذه التّينة غرسها أحد الصّالحين من أجدادكم، وكانت وصيّته أن تحظى بالعناية، وأن يتصدّق أهل البيت من ثمرها... اللهمّ كُفّ الشّرّ عن هذا البيت، وامنع عنه غضبك بسبب فعلة أهله.

تمتمت بهذه الكلمات، وأكملت طريقها، فيما ظلّ صدى تلك الكلمات يتردّد في فضاء البيت، فشعر أبو خالد بقشعريرة لم يشعر بمثلها من قبل، ونادى ربّه قائلا: اللهمّ ردّ عنّا فأل هذه الخَرِفَة، وشرّ خزعبلاتها!

في الجزئية السابقة ..

جاء رد فعل الشخصية الزوجة " أم خالد " على تحقق مبتغاها / قطع شجرة التين ، وظهرت شخصية ثانوية " عجوز " ، والتي أدت دورها في القصة (حقيقة هذه الشجرة / هوية من زرعها / الرجل الصالح / البركة والتصدق من ثمارها / زرع الشكوك في نفس أهل البيت من لعنة قطعها ، وانعدام البركة)

هنا كان كلام العجوز واضحاً مفهوماً ، ولا أدري إن كان الفعل " تمتمت " في محله أم لا ؟!

والفأل ما يستبشر به ، ولربما يجوز استخدامه في جملة الدعاء " اللهم رد عنا فأل هذه الخرفة " ، إذ أن البعض أجاز استخدامه فيما يُكره .

ظهور هذه الشخصية كان مهمّا ، لزرع بذرة الشك عند الزوج في فعل البتر ، ويخدم

فكرة النص: شجرة التين والبركة.

"لم يعد يطيق النّظر إلى تلك الفروع الملقاة أرضا، فدخل البيت، وأفكاره تروح وتجيء كخطواته التي تباطأت عمّا قبل.

تعب لكثرة ما رشقته حجارة الفكر، فعاد إلى كرسيّه، لكنّه لم يستطع النّظر إلى الشّرفة كما اعتاد، فنظر إلى صورة جدّه المعلّقة قبالته وأخذته الأفكار بعيدا؛ مستحضرا صور جدّه حين كان يجلس كلّ صباح صيفيّ، ومجموعة من أهل الحيّ بالقرب من التّينة، وسلّة التّين تدور على الحاضرين.

تُرى هل غرست يداك هذه التّينة، وجئت أنا قاطعا كلّ شيء؟! تسمّرت عيناه في الصّورة، وإذ به يرى حزنا فيهما يردفه غضب لم يسبق أن رآهما من قبل، فأحسّ بجفاف في ريقه، وخشي أن يصبح عاقّا لجدّه، بعدما دعا له وهو مسجّى على فراش الموت بالرّضا والتّوفيق"...

في الجزئية السابقة ..

انقطاع للتسلسل الزمني (فلاش باك) ، ومونولوج داخلي للشخصية (أبو خالد) ، وظهور أول للشخصية الجد ، من خلال تلك الصورة المعلقة على الحائط ، وهذه الشخصية جاء ظهورها داعماً لحديث العجوز ، لتعزيز معتقد البركة لشجرة التين ، والقاصة هنا تحاول تأكيد الفكرة من خلال حزن/ غضب الجد التخيلي في الصورة.

"أفرغ في جوفه كوبا من الماء، والشّعور بالعطش لا يُطفَأ وهجه، والنّظرات تزيد من قلقه وخوفه.. وبغتة يخترق جدار صمته صوت حفيده معاتبا: لماذا قطعت شجرة التّين يا جدي؟! انظر إلى يدي التي تضاعف عدد حبّات الثآليل فيها. لقد تذكّرت عندما داويت إصبع زميلي في العام الماضي، وسمعتهم يقولون أيضا بأنّها شجرة مباركة فجئتك مهرولا.. لكنّ جدّتي أخبرتني بأنك قطعتها، وجاء صبية الحيّ وجرجروا الفروع والأغصان وأخذوها بعيدا..

لماذا فعلت ذلك؟ لماذا؟!

لم يستطع الإجابة، إذ أحسّ بضيق في صدره، وبعد أن أفلح باسترداد أنفاسه قال: سيكون خيرا، وسنجد حليب التّين للعلاج يا عزيزي.

هدّأ من روع الصّبيّ، لكنّه لم يستطع تهدئة مخاوفه... أيعقل أن يكون هذا إنذارا وتذكيرا بأنّ قطع التّينة كان خطئا كبيرا، إضافة إلى ما رأيته من نظرات جدّي؟

اللهمّ الطف بنا، وارضَ عنّا.."

في الجزئية السابقة ..

ظهرت الشخصية الثانوية (الحفيد) ، والجمل الحوارية التي دارت بين الشخصيتين ، كانت موفقة ، لتأكيد البركة للشجرة .

وقفة

من وجهة نظري أن هذه الجملة الاستفهامية (أيعقل أن يكون هذا إنذارا وتذكيرا بأنّ قطع التّينة كان خطئا كبيرا، إضافة إلى ما رأيته من نظرات جدّي؟) يُفضل الاستغناء عنها.

والسبب هو أن التذكير المستمر للبركة ، يعتبر حمل للفكرة ، وكأنكِ تخشين أن ينساها .

اعتمدتِ في السرد على أن تكون القصة ذات حبكة مترابطة ، فعدسة الكاميرا لم تفارق الشخصيات ، وكانت محكمة ، والشخصيات تقوم بدورها كما ينبغي .

والقارىء الآن يترقب حدوث أمر ما ، بعد أن زرعتِ بداخله بذرة الشك في حدوث مكروهٍ قد يحصل بسبب قطع تلك الشجرة / البركة .

"مرّ اسبوع دونما حدث يقلق، فاطمأنّ أبو خالد بعد أن عزله الخوف من عاقبة فعلته عن أقرانه وعياله، فقرّر دعوة أبنائه وأحفاده إلى وليمة عن روح جدّه الذي قرأ العتاب والملامة في عينيه.

اقترحت أم خالد أن يجلس الجميع في باحة الدّار التي نظّفتها احتفالا بتخلصها من

النّحل، والذّبابّ، والنّمل، والورق المتطاير رغم نسمة الرّياح الخريفيّة الباردة.

وصل الأولاد والأحفاد، وبدوا كخليّة نحل في نشاطهم، وتحضيرهم للوليمة، ثمّ تحلّقوا حول موائد الطّعام، وقبل أن يبدأ البسملة، سأل عن سبب تغيّب ابنه الأصغر أمين، فأخبرته زوجه أنّه سيتأخر بسبب مسافر اتّصل به فجأة؛ ليقلّه إلى إحدى المدن البعيدة.. لا تنتظروه، سيأتي لاحقا ويأكل.

أصوات الملاعق المزعجة تدوّي في فضاء السّاحة، بعدما كانت تنعشه زقزقة العصافير صباحا ومساء، حتّى في الخريف العاري".

في الجزئية السابقة ..

التوجس الذي خلّفه قطع الشجرة ، لدى الشخصية " أبو خالد " ، بقي موجوداً ، وإن كان خفياً ، وراق لي وصف فرحة " أم خالد " بعد أن تحقق مبتغاها ، وارتاحت من عناء التنظيف المستمر لهذه الساحة ، بمعنى أن الشخصية تصرفت حسب عقليتها ودواخلها ، وتفاعلت مع الحدث .

ظهرت شخصيات ثانوية أخرى في هذه الجزئية ، الأولاد / الأحفاد ، وشخصية أصغر الأولاد (أمين) – ولم أر ضرورة لذكر اسمه هنا – الذي تغيب عن الحضور ، وبررت زوجته سبب غيابه .

راق لي أيضاً تصوير الفرق بين زقزقة العصافير وأصوات الملاعق ، وشتان بين الصوتين .

"يأكل أفراد العائلة، ويثنون على أمّ خالد.. لا نكهة لطعام مثل طعام الأمّ. والوالد يأكل دون تعليق على نسبة ملوحة الطّعام.

انتهت الوليمة، وأصغر الأبناء لمّا يأت بعد. وفيما قلب الأب يخبط قلقا، وإذ بكنّته تصيح: أمين تعرض لحادث سير، ونقل إلى المستشفى."

في الجزئية السابقة ..

تصوير للسعادة الممزوجة بقلق خفي من الشخصية (أبو خالد) للعائلة ، وورود خبر حادث السير للابن الأصغر – ربما من خلال مكالمة مثلاً ..! – وتوجه العائلة إلى المشفى .

"هرعت العائلة صوب المستشفى، وبقي هو واجما للحظات، ثمّ تذكّر التّينة، فنظر نحو مكانها، وهاله أن رأى أصلها لا يزال ثابتا في الأرض، فأسرع لإحضار الماء، وجثا على ركبتيه الواهنتين يرويها، ومخاطبا إيّاها بصوت عالٍ: يجب أن تورقي وتثمري.. يجب أن تعود البركة إلى هذا البيت.. يجب.

نهاية مفتوحة تركتِ القارئ يتساءل : هل سينجو ..؟! ، وأراها موفقة جداً .

بقلم: عدي بلال

obeikandl.com

بوّابات الكهف/كاملة بدارنة

تجشّأ الضجيج، فاحتوى كلّ تلابيب الصّمت والهدوء. لم أعد أطيق هرطقاته ومن يشاركونه تخمتها. غشيني التّعب، فهربت إلى إحدى التّلال الخضراء الهادئة.

أسير مستحمّا بصابون الهدوء المعطّر بأطايب شذى الطبيعة، ومغتسلا بحبيبات النّدى التي سالت خيوطا لؤلؤية.

نظرت مستمتعا ومتنعّما، واذا بي تشنّف أذنيّ نغمات سحرية، انبثقت من أحد الأماكن.

جذبتني ذبذبات الصّوت صوب مصدره... فتحة واسعة وسط التّلة اليانعة النّديّة.

تراءت لي عن بعد، خيالات أشباح تقيم طقسا احتفاليا، وكأن أتباع "أنانا" لا يزالون مقيمين في المكان محتفلين بوفرة الأمطار...

تابعت المسير حتى بلغت الخيالات التي أصبحت أمام ناظريّ أجسادا . لم يأبهوا بي اخترقت صفوفهم دون أن يعترضوني، ووجدتني داخل كهف كثر حرّاسه. لم يكن كهفا اعتياديا. تسلّلت الأنوار عبر دهاليزه مغرية، وجاذبة القادم إليه باتّباع خيوطها. هالني أنّ كومة من العظام والجماجم قابعة في إحدى الزّوايا، فحضرتني صورة أهل الكهف، وملئت منهم رعبا...

بقيت واجما وزدت هلعا عندما ردّد المكان صدى أصوات بشريّة خلتها أرواح من قد رقدوا هنا...

لحظات وساد الصّمت، أغرتني الأضواء التي ازداد وهجها بالتّوغل داخل الكهف. وعجبا ما رأيت... أبوابا موصدة كأنها بوابات مدن في باطن الأرض. تجرّأت وفتحت أولاها، وإذا بها تواري خلفها أناسا مختلفي الأعمار والهيئات ، فأيقنت أنّ ما سمعته، قد خرج من هنا. لم يرحّبوا بي. علا زعيقهم ثمّ خفت، وانطفأ... كلّمتهم علّني أجد من يفهمني. ران الصّمت لحظات ثم نطق أحدهم صارخا:

نحن المظلومون على هذه الأرض... نحن الذين ألقى بنا أباطرتها على قارعات الطّرق، وكنّا من المنسيين؛ إلّا ما نقشه حبرهم عنّا زورا على أوراق ملفات الكذب التي يختزنونها في أدراجهم المتعفنّة؛ ليخرجوها وقتما يشاؤون، لغايات في أنفسهم...

نحن من هدمت ديارنا، واقتلعت خيامنا، وشردت أحلامنا وحياتنا...

يذبحوننا ويكرمون علينا بفتات موائدهم الجشعة مُتبعين كرمهم منًّا وأذى. فإذا كنت ممّن ألحقوك بنّا، فهاك مكانك...

لم أستطع أن أنبس ببنت شفة. تراجعت ووجهي لا يفارق وجوههم، وخرجت وغمامة مشاعري تشوّش عليّ خطوي...

توسّدت الحائط لدقائق مغمض العينين، والضّجيج يشوّشني . فتحت عينيّ فرأيت قبالتي بوّابة، حثّني الفضول على استرداد قواي والتّوجه نحوها؛ عسى أن يكون خلفها من هم أحسن حالا...

جازفت وفتحت البوّابة، فلم أر أحدا... تنفست الصّعداء، وقلت سأجلس هنا لأستريح قليلا من عناء ما صادفت.

فجأة، بدأت زمر الأطفال تتوافد نحوي من سرادقات عدّة، وكأنّي بهم يدعونني للدّخول، خطوت خطوتين لمجالستهم، إلّا أنّهم استوقفوني، وأردفتهم نساء تباينت أعمارهن، فوقفت وسط بحر متلاطم من الإشعاعات المنبعثة من عيون لم أدرك كنه نظراتها...

تثاقلت رجلاي وخفت أن أقع أرضا؛ لولا تداركتني إحدى النساء، ودعتني لأفترش التّراب... لم أبادر في الكلام خوفا وإرهاقا، فصاحوا بي جميعهم:

نحن ضحاياكم أيّها الرجال... حروبكم التي تتباهون ببطولاتكم فيها، نتحمل نحن أوزارها... أنتم تحاربون وتَقتلون وتُقتلون ونبقى أيتاما وأرامل، نتلقى شفقة الصّدقة، وصدقة الشّفقة؛ لترطيب جفاف العيش المادي والرّوحي الذي نحياه...

لا تقتصر بطولاتكم على حروبكم، بل تتعدّاها لتكونوا أبطال القسوة والظلم؛ لكثرة ما اصبحتم تؤمنون بأبغض الحلال، وتتركوننا وأولادنا، نتأرجح بكراسي القضاة كي ينصفونا... حتّى العاشقين منكم لم ينصفوا عشيقاتهم اللواتي وعدوهن بالزّواج. ولما قضوا منّا أوطارهم، تركونا في مهب عواصف الذلّ والقهر، نعيش متحسرات، ولدموع النّدم والخيبة والتّوبة ذارفات...

ما ذنب أطفال أصلابكم ليواجهوا صلابة صخرة الحياة دون لين حضن أو مأوى؟!... ما؟!....

لم أعد أسمع ...لسعت الكلمات جلدي وكادت تحرق كلّ كياني؛ لولا بلسم الصّبر الذي مسحته به؛ كي أستطيع الإفلات من غيلان حنقهم وغضبهم...

بدأت بالزّحف حتّى تمكّنت من الخروج، وعصيّ صراخهم تجلدني، وتزيدني رهقا...

ظللت مادّا رجليّ، غير قادر على النّهوض، وتمنّيت أن أغفو للحظات كي تغسل ذاكرتي هذه الشوائب التي علقت بها، فأخذتني سنة من النّوم، لأستفيق بعدها باحثا عن سبيل للخلاص من هذا المكان... لكنّ طمع فضولي أوصلني إلى بوّابة أخرى، مختلفة الحجم واللّون... تراقصت أفكاري طربا، بعد وجبات الغمّ التي تذوّقتها علّها تفوز بما هو أفضل.

لم أدر لم وجدتني أستأذن في الدّخول هذه المرّة. انتظرت حتى سمعت من يدعوني للدّخول، انبسطت أسارير وجهي بعد تقطيبها المضني، ودخلت...

بيض العمائم وسودها يتداولون فيما بينهم، ويجلسون في إحدى الزّوايا، ذوو العباءات في هرج ومرج، وكأنّ أمرا عظيما يشغلهم، يلوّحون بعكازاتهم، ويبدون غير راضين عمّا تجود به ألسنة بعضهم.

ألقيت التّحية، فردّوها بأحسن منها، ودعوني للجلوس. غمرني شعور الاطمئنان؛ كوني ضيفا دعيت للإكرام...

بادرني أحدهم بالسّؤال:

من أنت؟ وما خطبك؟!

أنا من بلاد الضجيج والضجّاجين. أبحث عن السّكينة التي بتّ شغفا بإيجادها... فهل لي بالإرشاد والنّصح، من أصحاب العقول النيّرات التي تغطّيها عمائم الوعظ والمعرفة ؟...

ضحك حتى بدت نواجذه، فاشتعلت وجنتاي خجلا، إلّا أنّه حاول إطفاء اللهيب بكلماته.

لا عليك بني. سأروي لك ظمأ روحك الباحثة عن جرة السّكينة لتكرع ماءها.

ما تبحث عنه لن تستطيع إيجاده تحت عمائم العارفين كما تعتقد، بل داخل رأسك الحاسر. فتّش عمّا تبحث عنه داخلك تجده. فإن أنت عشت السّلام الدّاخليّ، والهدوء عقلا وروحا، فقد فزت ورغبتك تحقّقت. أما إذا لم تصغ لهواتفك الدّاخلية التي تدعوك إلى المصالحة مع ذاتك وذوات الآخرين، فأنت خاسر!...

أنت جئت هاربا من ضجيج الآخرين، باحثا عن الرّاحة، لكن الضجيج الذي تعايشة، ولدتهُ نفسك التي أجهضت صمتها مكرهة، لتلد لك الضجيج الذي تبغي، وتدّعي أنك تمقته. أنصحك باسترجاع وإحياء ما أجهض!

اعترتني الدّهشة بعد تخلصي من الخجل الذي كابدت، وسألته عن حاله وعمّن يجالسهم؛ لأنّي وجدت فيه الفيسلوف الذي تربّع على عرش حضارة الذّات ومكنوناتها.

نحن مجموعة الحكماء، والعلماء، والمتكلّمين، والموحّدين. لقد كنّا الواعظين والمبلّغين، والمرشدين... فسمعتنا الجموع البشريّة مدّعية إعجابها، ومبدية توقها لتحقيق ما يسمع، وبعدها غرست الخناجر في بطون مبادئنا !

قرأنا على مسامعهم شرائع الرّحمن، وعصارات ذهن الحكماء والعلماء وغيرها.. فدوّنوها في مجلدات مزخرفة، عارضين إيّاها جداريات يعتزون بها، وصناديق فضيّة يتباهون بمحتواها، وساروا ويسيرون وفق شريعة الغاب!...

زوّدناهم بما يقدّس إنسانيتهم، ويجعلهم أفضل المخلوقات وأجملها كما خصّهم بارئهم، فجعلوا قيمتهم في الحضيض ومسخوا جسومهم قرودا متطوّرة!... وكانوا فرحين بما أتاهم به الماسخون، فخلطوا الحابل بالنابل، ولم يعودوا يعرفون الى من يلجاون، وما الذي يقدسون. وها هم تائهون يشتكون، وفيما استحدثوه متخبطون.

لم نعد نحتمل عشوائيّات صنائعهم وما يحلمون، فغادرناهم وليفعلوا ما يريدون... إنا ها هنا قاعدون، ولحالهم محزونون؛ لأنّنا نريد لمخزون ينابيع المعرفة الحقّ أن ينفجر، ويغمر ماؤه الأرض وما عليها...

عندما يشتدّ حزننا، يولّد غضبا، فينضخ بعضنا بعضا بقطرات المعرفة، فتقوى وتتدفّق سيولا، وتجلب الضّجيج الذي سمعت وقت الوصول...

جذبني حديثه الذي طال رغم أنّ زفير الآهات زنّرني، ولم أشعر برغبة جارفة في الخروج مثلما شعرت قبلا.

عرض عليّ المكوث. لكنّ توقي لمعرفة ورؤية ما تبقى من أقسام الكهف حملني على الاستفسار، فأخبرني أنّني ضمن حدود البوّابة الثّالثة، وأنّ في الكهف ثماني بوابات. وفيما أنا منصت لكلامه علا ضجيج المعرفة ثانية ، وانتشرت شظايا الغضب المفعم بالنّظريات والرّوحانيات وغيرها...

لتسقط بعد ذلك العمائم عن الرؤوس الغضبى، فأيقنت أنّ الحكمة تغضب ذاتها اذا لم تجد من يسمعها، وأنّ الطّمأنينة إذا لم تجد المكان الملائم لتبسط جناحها، فإنّها تتحوّل زعيقا وغضبا !...

اندفعت خارجا والشّعور بالإرهاق يكاد يطرحني أرضا. صادفت في طريقي البوابات الأخريات، ولم تكن بي رغبة في دخولها... هرولت إلى أن وصلت الفتحة التي منها ولجت، وإذا المحتفلون على حالهم لا يزالون... اخترقت صفوفهم، وولّيت هاربا من الغضب والغاضبين، والتّأنيب والمؤنّبين؛ لأجد نفسي في غابة الضّجيج والضجّاجين؛ مشفقا وباحثا عن جنين السّكينة في رحم ذاتي ...

قراءة في قصة "بوابات الكهف"

بحكي جذاب مفعم بعجائبية السرد ينفتح نص " بوّابات الكهف " للأديبة كاملة بدرانة على هوامش الحياة الأكثر هشاشة، وبحمولة من التفاصيل الإنسانية الصغيرة في حدها الواهي بين الفقر والألم والعزلة والضياع والموت والاغتراب، وعبر رحلة محفوفة بالأسئلة والقلق الوجودي الأكثر إمعانا في غرائبيّته بالرغم من أنها تبدو ظاهريا كالحلم في أعماق المجهول والاحتمال.. هذا ما يدفع البطل لاختراق آفاق الغيب والولوج للقبو بحثا عن السكينة المنشودة بعد ان ضجر من تفاهات وهدر الآدميين ولغطهم وضجيجهم، للهروب إلى عالم مغاير مليء بالهيولي وبالأشباح والمخلوقات الهلامية الأكثر غموضا وضجيجا ورعبا وتوثرا لكنه مفعم بالحكمة وبالأسئلة الفلسفية العميقة حول كنه الحياة وأسرارها، وبتوفر أكثر الحلول نجاعة لمستقبل العالم ومشاكله الممضة والغامضة.

لابد من الاشارة الى حكاية شعبية تكون الفكرة الأساسية لهذا النص السردي الممتع والتي تتحدث عن أميرة أبيح لها ان تدخل كل غرف احد القصور ما خلا غرفة واحدة لكن الفضول يدفع بالأميرة إلى خرق المحظور. وكانت هذه المجازفة بداية لقلق وجودي لم يبرد الا بفتح تلك الغرفة ..

يتوفر هذا النص إضافة الى عمق التجربة وبراعة التصوير وسعة الخيال، على لغة أدبية شفيفة ومتينة، استطاعت أن تنقل الينا جانبا من جوانب الحياة بكل اضطراباتها في تتابع منطقي هائل.. وبعيدة عن التقريرية. ذلك ان الكتابة في جوهرها هي استعادة للواقع وإعادة إنتاجه في حضرة تعدد القراءات من شخص لاخر، والنص السردي الذي لا يهتم مبدعه باللغة والبيان هو لامحالة نص نصف ميت. والأديب الجيد والصانع الماهر هو ذلك المرء الذي لا يكون راضيا على انجازاته، ويسعى دوما لاجتراح الأفضل

منها.. وخلق لغته المتميزة وتقنيته الخاصة وأسلوبه المتميز الذي يشكل فائض القيمة والرأسمال الأدبي والإبداعي على حد سواء.. لهذا نجحت القاصة في التوفيق بين سمو الشكل وبراعة المضامين وباللغة الأدبية الخالية من اية تقريرية ورتابة، أو توظيف عشوائي للأحداث.

نقوس المهدي /المغرب

obeikandl.com

بالرّوح بالدّم.../ كاملة بدارنة

"بالرّوح بالدّم نفديك يا شهيد" " يا أمّ الشّهيد لا تزعلي كلّ الشّباب اولادكِ"... هتافات تعالت في جوّ ثوريّ غاضب، وزاد من حرارة الجوّ لهيب الكلمات المشعلة بالدّماء التي انسكبت عنبرا، وساحت مسكا ... فتجمّرت الوجوه الملفوحة بلهيب الهتاف...

في آخر هذا الموكب الجنائزيّ الغاضب المهيب، كانت سلوى تسير بتؤدة، وبلعومها يبتلع الكلمات التي تحاول النّطق بها، فلا تستطيع مشاركة زميلاتها اللواتي تركن مقاعد الكلّيّة، وخرجن لتوديع الشّهيد والاحتجاج... تتباطأ وهي التي اعتادت أن تكون في المقدّمة هاتفة، وزميلاتها يرددن خلفها...

تنظر إلى الأفواه، فتراها فوّهات تقذف حمم الكلام... فتارة تتّسع، وطورا تضيق إلّا فاها، فقد تشنّجت شفتاه، ولم تستطع الكلمات الانفلات من بين تلكما الكمّاشتين اللّتين أطبقتا... وأذناها كأنّهما فقدتا حاسة السّمع، فلا تسمع سوى هتافها الدّاخليّ مردّدا كلمة" خطيّة"!

حاولت الهرب دائما من شبح ذاك اليوم الطّفوليّ، وقتل الغول الذي أرعبها طويلا، ونفشَ شعر الحقد والغضب مرارا، فلم تفلح... وها هو الآن يهاجمها بشراسة.

كانت في طريقها إلى البيت، بعد أن لبّت طلب إحدى الجارات من العجائز، لشراء ما يلزمها من الحانوت القريب. صادفت بعض الفتية، ألقى عليها أحدهم نظرة طويلة ثمّ ابتسم، وأكمل السّير... منعها الحياء وبراءة الطّفولة من النّظر إليه، وأكملت مطأطئة الرّأس، وضاحكة في سرّها.

أحاطت بالطّريق الضّيق بعض الأشجار العالية التي اتّخذت منها العصافير ملجأ وأعشاشا لأفراخها. خالت أنّ الفتية توقّفوا عند تلك الأشجار لرمي العصافير بالحصى أو لسرقة الأفرُخ من الأعشاش، حين تلقّفت أذناها صوت أحدهم قائلا:

"سنبقى هنا في انتظارك!". وما هي سوى لحظات، وإذ بيدين تطوّقانها من الخلف، وتحاولان اعتصارها، فيما الشّفاه تهاجم الخدّ وتسرق بعض القبلات، ثمّ تحاول اليدان طرحها أرضا، والذّهول يعقد اللّسان، والجسد تخور قواه ولا يستطيع المقاومة، فيقع... تلتقي عيناه بعينيها الصّارختين دهشة وفزعا لحظات، يتركها ويمضي مسرعا...

تنهض متثاقلة، والبغتة تلجمها، والقلب يكاد يقفز من مكانه، والرّجلان ترتعدان وتصطفقان، ولم تنتبه

أنّ ملابسها قد لطّخها وحل الحفرة، إلّا بعد أن أحسّت بسائل يرطّب ساقيها!

التفتت للخلف لترى الفتية يصفّقون لزميلهم ويحيّونه على جرأته، وهو يقف واجما موجّها نظره صوبها.

تحرّر الفم من تشنّجه لتطلق صرخة ممزوجة بغصّة: "الله ي و خ ذ ك... الله يوخذك". واصلت المشي، وهي ترتعد وتفكّر بوالدتها وبما ستقوله لها إذا ما لاحظت وجهها المحمرّ خجلا وغيظا، وملابسها المرطّبة القذرة!. "سأقول لها إنّي وقعت في إحدى الحفر التي تكثر في الطّريق، بينما كنت أنظر إلى سرب من الطّيور المهاجرة ..."

وشاءت الأقدار ألّا يراها أحد وهي تدخل البيت إلى الحمّام... وباتت ليلتها يسهّدها البكاء، ملتحفة الخوف، ومفترشة الغضب والحقد على الفتى!

"سلوى لماذا لا تهتفين؟!" سألتها إحدى الزّميلات. " كدنا نصل المقبرة ولم تنبسي بحرف، ولم أسمع سوى لهاثك رغم الأصوات العالية التي تحتلّ الفضاء".

أثقل عليها مارد الذّكرى حتّى الكلام، والرّدّ ...

تتقدّم الجموع، ويقترب نعش الشّهيد ابن حارتها من الحفرة التي سيوارى فيها. رأت ذلك فأسرعت الخطو؛ لتكون في الصّفوف الأماميّة، وتشاهد عمليّة الدّفن. ومع كلّ خطوة، كانت مطارق"خطيّة" تضرب رأسها فتزداد هرولتها...

" هذا هو اليوم الذي انتظرته طويلا... لقد تحقّقت عدالة السّماء، ويبدو أنّ بابها كان

مفتوحا لحظة طلبتُ من الله أن يأخذه... وها هو قد أخذه؛ ليريحني من شبح ذكراه، ويداوي لي ندبات أبقت مشاعري متألّمة، وراغبة في لحظة الانتقام هذه منذ زمن..."

وصلت المكان متناسية الإرهاق؛ لتشفي غليل كلّ تلك السّنين، وتبارك لنفسها إراحتها من حمل أثقل كاهل فكرها وقلبها!

يخيّم الصّمت والرّهبة على المكان، رغم كثرة الجموع الوافدة إليه، ولم يسمع سوى صوت التّأبين لدقائق معدودات، وصوت الطيور الفزعة في السّماء...

بدأ البعض بإلقاء حفنات التّراب بعد شمّه وتقبيله على الجسد الذي لم يكفّن، وفيما الدّموع تروي ظمأ ذاك التّراب، وإذ بصوت أنثويّ، مزّقت البّحة بعضا من ذبذباته، يمزّق سُدونَ الصّمت، ويذهل الحضور الواجم إجلالا للّحظة:

" بالرّوح بالدّم نفديك يا شهيد" ...

obeikandl.com

قراءة في قصة "بالروح بالدم

على سبيل التقديم

تحاول مثل هذه النصوص الملتزمة التعرض لقضايا نضال الشعوب والمقاومة من حالاتها المختلفة، وبقدر تأصل تلك العذابات وتنوعها وتكرار فصولها وسيناريوهاتها تتعدد اوجه الإضافات أيضا، والتفنن في التعامل مع القضية بشتى شجونها وتشعباتها الإنسانية. وبمختلف التقنيات الفنية التي يتداخل فيها السردي بالسياسي بالاجتماعي وما شاكل ذلك.. ..

إن هذا النوع من السرود حمال معاني ورسائل فكرية وسياسية واجتماعية وغيرها.. اذ يرتبط في مضمونه الفني بنضال الشعوب وانعتاقها، وبقيمته التاريخية أيضا.. لهذا فإن مضمون القصة وفكرتها لا يخرجان عن كونهما حدثا بسيطا في ظاهره. لكن بحبكة متقنة من القاصة للتعبير عن سخرية الواقع، وبتواطؤ مع جمالية السرد ومتانة اللغة، والجمل القصيرة وعبر تقنية الفلاش باك، وبطريقة تتشابك فيها مجموعة من الذكريات الأليمة والممضة واستحضار ماض بأكمله.. وعبر الانتقام الضمني بالصمت واللادموع والشرود تحاول قتل الغول الذي هيمن على ذاتها وتفكيرها وناء عليها بكلكله لسنين عديدة محدثا شرخا وتشظيا في الروح. وتوظيف العديد من المتقاطعات التي تشكل جوهر حبكة النص الذي يختلف في توصيفه للوطن وللقضية

تبتدئ قصّة " بالروح بالدم " بخروج البطلة سلوى في موكب وداع احد الشهداء وبشعار بالروح بالدم.. هذه الكلمة الجنائزية التي تلهب الحماس وتمجد الوطن.. ذلك أن (تيمتي) الدم والروح اللازمتين الأساسيتين في متن النص أضحتا من مؤثثات المشهد البطولي والنضالي لشعب مضطهد ينافح من أجل التحرر والانعتاق من ربقة الاستعمار، وعنوانا لفصول درامية من مسلسلات تحرر الشعوب من الاضطهاد والقهر لا في فلسطين وحدها فحسب، بل شعارا (كوسموبوليتيا) على سائر دروب الحرية بالعالم أجمع.. وفي هذا الزمان الوجيز الفاصل بين لحظات خروج الجنازة ووصولها

obeikandi.com

للمقبرة تحدث أشياء وتطرأ أفكار وهواجس، وتحتضر حياة مليئة بالانكسارات. عبر خطين متوازيين. يشكلان الفاصل المشترك في حبكة النص السردي، نداءات تقارع أجواء السماء بمقابل شهيد يوارى الثرى، وهتافات تمجد الشهيد بمقابل قلق وجودي، ومونولوغ داخلي مكرور تجتره سلوى بطلة النص وعماده.. وبين عمليتي الصعود والهبوط، والشهادة والخطيئة، يتواتر الحكي وئيدا حزينا شجيا يتوغل عميقا في ذات مكلومة مرتين. بفقدان الوطن وفقدان (الشرف).. وخلال الطريق التي تبدو طويلة وملتوية واللحظات الثقيلة على النفس تتواتر الذكريات الأليمة محدثة شرخا في الذاكرة المكلومة، مما يفسر أنها تعرضت في وقت ما لحادثة تحرّش واعتداء على يد الشهيد. الذي سبب لها ندوبا لا تلتئم.. وكان صدى الهتافات التي تبين في البداية انها رعود ومطارق تحيق بالبطلة يخف تدريجيا ليحل محله ارتياح نفسي عميق وتواشج عاطفي، وبدأت الكوابيس التي انهكتها تخف وتضمحل، وأخذت تحس بذبيب الانعتاق يسري في أوصالها وكأن عبئا انزاح عن قلبها كلما أخذ الموكب في الاقتراب من المقبرة.. ليزول نهائيا حينما يوارى الجثمان الثرى لتتقدم سلوى أمام الملأ بعد أن تخلصت من هواجسها وعقدها وتكسر عاليا جدران وسدون الصمت الرهيب لتصيح بالروح بالدم.. لا تمجيدا وإجلالا للحظة، بل تشفيا وانتقاما لذاتها، ولتدفن ماضيها المؤلم والجريح.. ولا غرابة أن يأتي اسم سلوى المجبول معناه من كل ما ينسي جبال الهموم والذكريات الأليمة والانكسارات.. واجتماعية غيره.. ذلك أن موت الغريم هو الخلاص لهذا الوطن برمته.

نقوس المهدي / المغرب

امتحان/ كاملة بدارنة

أَفَقْتُ مُسْتَغرِبًا انزِعَاجَ أُمِّي وَحَوْلَقَتَهَا... نَظَرْتُ إلى عَقارِبِ السّاعَةِ، فَأَدْرَكْتُ السَّبَبَ .

كانَ نَومي عَمِيقًا؛ لِأنّي قَضَيْتُ مُعْظَمَ سَاعَاتِ اللّيْلِ مُقَلِّبًا صَفَحاتٍ كَثيرَةً؛ سَأُمْتَحَنُ فيها اليَوْمَ الامْتِحانَ النِّهائِيَّ لِلمَرْحَلَةِ الثّانَوِيَّةِ .

طَلَبْتُ مِن والِدَتي المُسامَحَةَ عَلى ما سَبَّبْتُهُ لَها مِنْ إجْهادٍ في إيقاظي ... وَكَيْفَ لا.. وَهِيَ وَوالِدي قَدْ رَعَماني جيّدا، وغَرَسَا في داخِلي شَجَرَةَ مَحَبَّةِ العِلْمِ، وَسَقَياها بِماءِ التَّشْجيعِ، وَرَعَياها بِدُرَرِ الأَدْعِيَةِ ؟... وَبَعْدَما رَبَّتَتْ عَلى كَتِفي، طَمِعْتُ مِنْها بِالدُّعاءِ؛ كَي يُسَهِّلَ اللهُ أمْري " سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ" .

جَلَسْتُ في غُرْفَةٍ أَحْسَسْتُ ضيقَهَا؛ رُغْمَ اتِّساعِها؛ ساحِبًا مِلَفّاتٍ عَديدَةً مِنْ مَكنوناتِ ذاكِرَتي لِلمُراجَعَةِ؛ وَقابِضًا عَلَى قَلَمي بِيَدَيْنِ مُرْتَجِفَتَيْنِ... حَتَّى اسْتَلَمْتُ دَفْتَرَ الفَحْصِ. قَلَّبْتُ وَرَقاتِهِ دونَما تَرْكيزٍ؛ كَي أُخَفِّفَ عَن نَفْسِي جَزَعَها !

بَدَأْتُ رِحْلَتي الكِتابِيَّةَ بِالوَرَقَةِ الأولى " بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحيمِ".

تَنَفَّسْتُ الصُّعَداءَ بَعْدَ إنْهاءِ تَفْكيكِ رُموزِ الوَرَقَةِ الأولى دونَ صُعوباتٍ " الحَمْدُ للهِ رَبِّ العالَمِينَ" .

تَخْتَرِقُ أُذُنَيَّ هَمَساتُ جاري الذي يَطْلُبُ مِنّي الالتِفاتَ إلَيْهِ، فيما أَفْكاري تَتَلاطَمُ أَمْواجُها في بَحْرِ حِبْرِ الأَوْراقِ . لَمْ أُعِرْهُ اهتِمامًا، فَرَفَعَ صَوْتَهُ... لا أَرْغَبُ في جَزْرِ مَوْجِ فِكري بَعْدَ هُدوئِهِ، والاسْتِجابَةِ لِإزْعاجِهِ

" اللهُ أَكْبَرُ"

لكِنَّ نَغَماتِ صَوْتِهِ الحَزينِ، وَكَلِماتِهِ التي سُمِعَتْ كَالحَشْرَجَةِ، قَطَعَتْ عَلَيَّ التَّرْكيزَ،

وَأَضْعَفَتْ مَقْدِرَتِي عَلى الصُّمودِ دونَ الالتِفاتِ إِلَيْهِ ... وَإِذْ بِيَدٍ ضَخْمَةٍ تُمْسِكُ راحَتُها بِعُنُقي، وَتُديرُ رَأسِي، فيما أَصابِعُ اليَدِ الثّانِيَةِ تَنْتَزِعُ اليَراعَ مِن يَدي، وَتَرْسِمُ إِشارَةَ تَنْبيهٍ وَتَحذيرٍ لي !

اجْتاحَتْني رَغْبَةٌ جارِفَةٌ في لَكْمِ الرَّجُلِ؛ لكِنَّني تَذَكَّرْتُ دُعاءَ والِدَتي لي بالاصْطِبارِ، ومُناجاتَها لِرَبِّها؛ داعِيَةً إِيّاهُ أَنْ يُوَفِّقَني... وَتُتْبِعُ دُعاءَها بِنَذْرٍ في قَضاءِ مُعْظَمِ وَقْتِها لِفَضْلِ رَبِّها حامِدَةً شاكِرَةً ." رَبَّنا وَلَكَ الحَمْدُ ".

عاوَدْتُ الكِتابَةَ بَعْدَ زَوالِ انتِفاخِ أَوْداجي ، وَتَوَقُّفِ جِسمي عَنْ تَحريكِ الكُرْسِيّ، وَما هِيَ إِلّا دَقائِقُ حَتَّى عاوَدَ جاري اسْتِغاثَتَهُ واسْتِجْداءَهُ .

ماذا سَأَفْعَلُ ؟ ...أَنا لا أعْرِفُ مُبْتَغاهُ ، وَلا أَجْرُؤُ على الالتِفاتِ ثانِيَةً ... سَأَخْسَرُ امتِحاني!...

إِنْ كانَ يَطلُبُ مُساعَدَةً في الحَلِّ، فَأَنا لا أَستَطيعُ تَلبِيَةَ رَغْبَتِهِ؛ لِأَنَّ في ذلكَ غِشًّا..." لَكُم دينُكُم وَلِي دينْ".

عَزَمْتُ عَلى مُواصَلَةِ الكِتابَةِ، وَقَرَّرْتُ صَمَّ أُذُنَيَّ اللتَيْنِ يُزْعِجُهُما صَوْتُ جاري، وَأَزيزُ كُرسِيِّهِ، حينَ تَذَكَّرْتُ وُعودي وَتَعَهُّداتي بِالنَّجاحِ.

انتَهى وَقْتُ الامتِحانِ. "اللهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّد " .

غادَرْنا القاعَةَ وَالضَّوضاءُ والجَلَبَةُ، يُضاعِفُهُما اتِّساعُ المَكانِ، وَإِذ بِطالِبٍ يُضَيِّقُ عَلَيَّ الطَّريقَ، وَيَرْمِقُني بِنَظَراتٍ غَريبَة أَو قُلْ حَزينَة ... سَأَلْتُهُ عَن أَمرِهِ ، فَأَجابَ وَعَيناهُ مُغرَوْرِقَتانِ بِدُموعٍ غاضِبَةٍ، وَناظِرَتانِ إِلى زُجاجَةِ الماءِ التي بِيَدي: أَسْتَكثَرْتَ أَنْ تَتَكَرَّمَ عَلَيَّ بِجَرعَةِ ماءٍ تُرَطِّبُ جَفافَ حَلقي، وَتُخَفِّفُ من تَوَتُّري؟!...

لَقَد نادَيتُكَ مِرارًا، وَلكنَّ حِرصَكَ وَأَنانِيَّتَكَ مَنعاكَ مِن مَعرِفَةِ ما أَحْتاجُ، وَأَنتَ الذي تَدَّعي مُساعَدَةَ الآخَرينَ! . " السّلامُ عَلينا وَعَلى عِبادِ الله الصّالِحين"

هَوْلُ المَوقِفِ أَخْرَسَ لِساني، وَلَن يُنْجِدَني ما سَأُحاوِلُ التَّلَفُّظَ بِهِ!. لَقَدْ خَضَعْتُ عَقلًا

وَقَلبًا لِتَنبيهِ مُراقِبٍ، لَم يَتَعدَّ بِضعَ نِقاطٍ من حِبْرٍ، وَلَم أَعِرِ اهتِمامي لِنِداءاتِ زَميلي التي كرَّرَها مَلهوفًا .

لَمْ أَجِدْ مِن مَخْرَجٍ سِوى الاعتِذارِ؛ مُتَّخِذًا مِن تَهديدِ المُراقِبِ ذَريعَةً؛ وَموقِنًا عَدَمَ تَقَبُّلِهِ لَهُ .

حِمْلٌ مِن التَّأنيبِ أُلقِيَ على كاهِلِ ضَميري، وَلَمْ يُغادِرْني ...

وَصَلْتُ البَيْتَ وَحِبالُ تَفكيري تُجَرجِرُني نَحْوَ عَوالِمَ غَريبَةٍ... " أَشهَدُ أن لا إلهَ إلّا اللهُ" ...

تَحرَّكَتْ سَبّابَةُ أَنامِلي، فانتَبَهْتُ أنّي في المَراحِلِ الأَخيرَةِ من صَلاتي ...

وَوَجَدْتُني مُضطَرًا أَن أَعودَ وَأَبدَأَها مِن جَديدٍ.!

obeikandl.com

قراءة في قصّة "امتحان"

جميلٌ هذا التوازي بين الإجابة و الماء ، و كالتوازي بين الماء و الحياة يكون التوازي بين الحياة و الامتحان.

* لابدّ لمختلف القوى من البدء من جديدٍ.

أرى التوازي بين إعادة الصلاة من جديد و إعادة النظر فيما يدورُ حولنا -رغم قبضة المراقب و تهديده- من أهم متطلبات مبادئ الانفتاح على العالم.

ربما يكون ضيق وسكون قاعة الامتحان موازياً لضيق أفق استجماع مواطن القوة ،

و يقابل هذا التوازي توازٍ آخر هو التوازي بين الانفتاح و "اتساع المكان و الضوضاء"

ما ظهر من تحقيقات و انشغال أثناء الصلاة يؤكّد أهمية الصحوة ، و لو كنا "في المراحل الأخيرة"، فقد كان التوازي بين انزعاج الأم لحرصها على إيقاظ الابن/ الابنة ، و بين اليقظة بعد "النوم العميق" داعياً للحاق بقاعة الامتحان.

و كذلك فإن الصحوة ضرورة ، و إن مرّ على ذلك وقتٌ طويل أو دفع في سبيل ذلك مجهودٌ كبير.

و كما يقولون "عند الامتحان يُكرمُ المرء أو يهان" ، فكذلك في الامتحان بعد أن يختتم المُمْتحن إجابته لابدّ له من المراجعة من أوّل حرف كتبه ، و التغلب على مشكلة الوقت.

التقابل بين التبرير و الاعتذار يعالجُ أهمية الإصلاح ، إذْ لا معنى للاعتذار و ذريعة المراقب أمام مَنْع المياه/ كنايه عن الحياة، و هنا إسقاط على ما يحدث حولنا مِمّن يمنع عنا الحياة الكريمة في أوطاننا مثلاً بحجة الأيدي الخفية ، و قد تكون مُندسة في ثوبٍ مشروع هو المراقب.

فالقصة لم تُبين من المراقب كما صورت سوى قبضته على عنقها ، و أصابع يده الثانية

تهدّد بسحب الورقة و رفع القلم إذا التفت البطل حوله ، وكأنه هنا يحجر على الرؤية ، و من ثمّ يمنع التفكر بعين الحقيقة ، و يرفض الاختيار بحرية ، والعمل بوحي الضمير !

و هل قيام التبريرات على الظن (طلب الغش) يغني عن الحق الظاهر (طلب المياه) شيئاً؟

د. محمد الشحات محمد

مصر

obeikandl.com

رصاصة شوق/ ق ق ج / كاملة بدارنة

اخترقت رصاصة الشّوق درع الحماية، فمزّقت شرايين الصّبر، وأسالت دم الفؤاد مهتاجا باحثا عمّا يعيد لحمرته الدّاكنة البهجة...

تأجّجت المشاعر لجمرته، وصهلت طالبة إرواء الظّمأ...

عرّج كثيرا، لكنّ الفؤاد عاد مثقِلا شرايينه بدهون اللّوعة، وتاركا المشاعر تعوي...

قراءة في قصّة "رصاصة شوق"

ما دام هذا الشوق انبجس كرصاصة ، فهو يحمل من القوة ما يجعله مدمراً ، لأنه لم يجد منفذاً ليتحقق على أرضية الواقع .. شوق يتأرجح بين الكمون والغليان ، لا يتقيد بزمان ولا مكان ، فعندما يقف الصبر ضد التفجير عن طريق التعبير والتنفيس عن الذات ،آنذاك يتألم القلب وينتفض لأنه ضاق بحرقة هذا الشوق القادر على تكسير كل العوائق التي تقف ضده ، هنا تتدخل المشاعر والأحاسيس لتلطف الأجواء وتقوم بعملية المصالحة بين الشوق والقلب .. لكن المشاعر الفياضة انتصرت لسلطة الشوق معتبرة أن القلب ما هو إلا محطة يستقر بها الشوق الذي يترجم أفعاله عبر المشاعر ،ورغم ذلك فكل قلب بدون مشاعر هو جاف قد يضعف الشوق بل يقتله مع الأيام ..

إبداع كتب برمزية عالية ، فكل قراءة ممكنة للمعنى الحرفي للنص تعتبر معبراً نحو المعنى الرمزي ، الشيء الذي يحفظ للمعنى الأول حياته وقيمته ..

نص جميل محمل برموز تلتصق بالذات والنفس ، بل بقيم إنسانية ..فما على كل قارئ أن يبدأ قراءته من خلال الرموز المغيبة بين الكلمات وأن يتركها غير منتهية ليبدأها قارئ آخر .. مما يكسب النص جمالية أدبية متنوعة ..

أ. الفرحان بوعزة / المغرب

obeikandl.com

سرُجٌ /ق ق ج/ كاملة بدارنة

من ظلمات القهر انطلقت بإرادة وعزم؛ لإيقاد السّرج بزيت اليقين لتحقيق ما ترغب فيه.

تعدّدت الدّروب وطال المسير، وأفرغت زيوت جرار عديدة، ولم يبزغ هلال الفرج.

أصرّت على الإمساك بحزمة من خيوط النّور إلى أن قادتها للجلوس تحت ظلّ نخلة الأمل. استراحت ثمّ نظرت نحو السّماء وهزّت بجذعها، لكنّها لم تساقط عليها رطبا جنيّا.

قراءة في قصة "سُرُج"

بطلة حاولت أن تنسل من ظلمات القهر فجندت كل طاقاتها النفسية والجسمية بعدما تسلحت بقوة الإرادة والعزيمة ، فهي لا تحمل سراجاً في يدها وإنما تحمل سراج الإيمان في قلبها ، فقلبها هو الذي يوجهها وينير لها الطريق ، إنها تحاول أن تصل إلى هدفها بشتى الطرق الممكنة ، فكلما انطفأ سراج قلبها وفكرها أو ذبل بسبب اليأس والإحباط ومواجهة عراقيل كثيرة تحد من تقدمها نحو الهدف جددت طاقتها بالصبر والتحدي ..

فكانت في كل مرة تحرق بنزين دمها وتعوضه ببنزين جديد يتماشى مع كل حالة ووضعية ، ولكن دون أن يكتب لها النصر والفوز ..

نص جميل يعطينا فكرة عن الإنسان الذي يكابد ويجاهد في تحقيق هدفه في الحياة ، وكلما تعثر وسقط نهض من جديد ليقفز عن الحواجز التي تعترضه في الخطة الأولى ، فالمثل يقول :" كل مصيبة تصيبني في الحياة ولم تقتلني هي تجربة لي "

بطلة معاندة ومشاكسة ،تواقة إلى تغيير وضعيتها لكن دروب الحياة المتعددة حالت دون الوصول إلى هدفها .. فجلوسها تحت النخلة هو استعانة بقوة خارجية ، خاصة بقوة

obeikandi.com

الله تعالى ،لقد وصلت البطلة إل ذروة اليأس والإحباط ، بعدما خالت نفسها أن تكون مثل مريم العذراء، لكن لا يمكن أن يسقط عليها الثمر كمريم ، فمريم العذراء كانت تحرسها العناية الإلـهية وتوجهها ..

تناص جيد ، واقتباس مبني على الحقيقة / لكنّها لم تساقط عليها رطبا جنيّا / دلالة على عدم إمكانية تكرار ما يشابه قصة مريم العذراء في العصر الحالي .. فالساردة توخت من إدماج هذه القصة لتبين لنا أن البطلة انطلقت من نفسها وذاتها لتحقيق هدفها ، ولما فشلت وانطفأ سراج الهمة والعزيمة ، حاولت أن تنطلق من قوة غيبية رغم أنها غير واثقة من التحقق بالنسبة إلى البطلة ..

أ. الفرحان بو عزّة / المغرب

obeikandl.com

العجوز/كاملة بدارنة

قال لها العجوز: إنّ لماء البحر ميزاتٍ عجيبة، إذ يقتلع براثن التّفكير، ويزيد في قلبك اليقين، ويعينُك على تحقيق ما تبغين... فاذهبي إلى البحر، تأمّلي وتعلّمي، وعدّي ستّ موجات، ومن ماء الموجة السّابعة، اغسلي وجهك، ودعي الماء يبلّل كلّ جسدك؛ ليزيل عنك الشّرور، فتبدأ حياة السّرور...

غزلت بمغزل اللّيل الطّويل أوشحة لفّت بها مجسّمات أفكارها، وشهقات سود أيّامها، وخَيبات جميل أحلامها؛ لتلقيها في أعماق اليمّ...وأسعدها وهي في غمرة شرودها أنّ سنونو الفجر قد نبّه حواسّها، التي جرّها غراب الفكر إلى خربة الأوهام؛ مقلّبة أحجارها، فأرجعها إلى عمارة الحاضر، ورغبةِ تزيين جدرانها، وإعلاء سقوفها... وحضَرَتها صورة نوارس الأمل التي ستلتقي بها فوق موجات شاطئ البهجة.

باغتها التّردّد أثناء عزمها على مغادرة كُوّة التّعب إلى بوّابة الرّاحة. فقد نسيت الوقت الملائم للقاء الذّات والبحر... أفجرًا هو أم عصرًا؟!

وقفت على حصى الحيرة، وانتابها شعور بغياب البصيرة المُعينَة على تجاوز الكثير من الأمور الخطيرة!

ما العمل ؟ فهي لا تستطيع البحث عمّن أسدى لها النّصيحة... إنّ شوارع المدينة مزدحمة، ولم تعرف عنه بعد لقائها القصير به، سوى رغبته في تفريغ حمولة صناديق هموم من يرسلهم القدر إلى طريقه، وملئها بياقوت الأحلام، وتسهيل صعوبات الأقدار؛ واعدًا إيّاهم بعدم إفشاء الأسرار...

رست بها فكرة لمعت في عتم الفكر، على شواطئ المساء؛ اعتقادا منها أنّ موج المساء الهائج أكثر ملاءمة لهيجان فكرها.

سُرّت لعودة وهج البصيرة، سلطانة فكرها التي تنصاع لومضاتها المثيرة ...

ستنتظر المساء بتلهّف، بعد قضاء ليلة، دارت في دياجيرها بجناحي الخوف والقلق.

ها هو طائر السّنونو لا يزال حائما حول غرفتها... استغربت تواجده، وغياب طائر الدّوري الذي اعتادت إطعامه كلّ فجر بيدها.

اقترب من اليد المبسوطة بحذر، التقط حبّة، وعاد بعد هنيهة؛ ليتناول الأخرى. وفي المرّة الثّالثة انتزع الحبّة وقطعةً صغيرة من جلد يدها، وأمسك بمنقاره باللّحم كأنّه يبغي إلى العظم سبيلا. فصرخت متأوّهة، وألقت بالحَبّ بعيدا، فطار مخلّفا خيوط الدّماء المسيلة...

أزفتِ السّاعة، وانشرح الصّدر، فهرولت نحو الشّاطئ؛ لتمدّ فوق الأمواج حين مدّها، بساط رغباتها، وتطرح مع جزْرها صُرَر ممقوتاتها...

ركّزت ناظريها على موجة، وفصلتها عمّا تطاردها؛ كي تكون دقيقة في تعداد السّبع الموجات، وانتظرت اقتراب كلّ موجة؛ لتلّف بين طيّاتها ما ترفضه ذاتها.

اللهمّ بلّلني بندى السّكينة، وجفّف لي ينابيع القلق والحيرة...

تصل الموجات تباعا؛ لتسطر عليها حروف إصرارها في إلقاء كدر الأمور إلى جوف المجهول؛ وطلب الصّفو المأمول...

اللّهمّ...

اغرس فيّ يقينا، واقلع منّي الشّك

دثّرني قناعة، واخلع عنّي ثوب الجشع

زدني علما، وانقص من جهلي

اسقني فرحا، وأظمِئ الحزن

أنِرني أملا، وأطفِئ فتيل اليأس

أمطِرني حبّا .....

وبينا هي تقترب، وتخترق عباب الموجة غاسلة وجهها بماء الحبّ الذي طلبته، وأحسّته، احتضنتها الموجة بقوّة، ولم تشأ إفلاتها، وجرّتها دائرة الاحتضان إلى الأعماق منتشية... لكن، اختلطت المشاعر حين لَبِسَها الوجوم بُعيدَ فتح عينيها، ورؤية الماء يكاد يغمرها... لفّعها الخوف لحظات، فاستحضرت شريط رغباتها وطلباتها، وحرصها على حياة هانئة!... ترى ماذا تفعل والموجة تحاول إبقاءها ضيفة في ديارها، وتهدّد أمنها وكيانها؟!...

التفتت نحو الشّاطئ، تراءى لها شيء ما...ركّزت النّظر، وإذ بطيف العجوز يسير ببطء، ويتّجه صوبها مادّا عصاه... مرّ الوقت عصيبا وهي تمدّ يدها لتتشبّث بعصاه... دنا منها مخاطبا إيّاها برويّة:

" لا تدعي سكرة الفرح تدخلك في ديمومة الغيبوبة، وتبعدك عن صحوة الكينونة!"...

ألقى بجملته وأكمل المسير...

فكّ الخوف قِماطَهُ، فهزّت رأسها، ونفضت عنها خمر الموجة، وتذكّرت أنّها هنا لتتعلّم وَ... استردّت أنفاسها، استجمعت قواها، وانطلقت بروحها المفعمة بفرح الصّحوِ، نحو شاطئ الحكمة...

تحليل نفسي لقصّة "العجوز"

لوحة فنيّة أدبيّة روحانيّة رائعة، ريشة فنّانة نجحت بمزج كلمات مدهشة، لتنقل القارئ عبر رحلة تطهير روحيّ بحثا عن السّكينة والفرح. تبهرك الصّور بدقّتها، وتشدّك بتفاصيلها، فلا يسع القارئ سوى متابعتها والغوص في تأمّلها. يزيدها التّناقض سحرا وتبهرك فيها المفاجأة، فتدفعك لتلاحقها حتّى النّهاية. فالقارئ ينتقل بفكرهِ بين غفلة الشّعور وصحوة الكينونة، بين العجوز المتأمّل بجانب البحر، والبطلة التّائهة وسط الزّحام، بين خربة الأوهام وعمارة الحاضر، تلفّ بين صناديق الهموم، تُفرَغ لتمتلئ بياقوت الأحلام. صور تنقلك بانسيابيّة لتتماهى وهموم البطلة التي تبحث عن السّعادة... فتناديها الحكمة للتّأمّل والتّفكّر ." وتفكُّر ساعة خير من عبادة سنة". لم تكتفِ الكاتبة بتصوير صامت، بل عمدت إلى صور متحرّكة ، تتحرّك تارة بانسيابيّة، فيرقص نظرك بين حركات المدّ والجزر، وتتابع انسياب الموجات السّبع ، تنفصل الواحدة عن الأخرى؛ لتتقدّم بدورها للغسل والتّطهير. ولا يسعك إلّا أن تغوص أكثر بنظرك في الأعماق، لتعيَ ما تقوم به الموجات، وتمتزج بالرّقص الأبديّ مع البطلة. صور شاعريّة رائعة تقود أفكارك إلى أعماق البحر السّبع (الموجات) فيما تحلّق روحك لتصل إلى السّموات السّبع. تفكّك الكاتبة الصّور بحرَفيّة عالية إلى أجزاء دقيقة – موجات تنفصل بدقّة ثمّ تجمع بمهارة معلّم روحيّ لتخلق التّجربة الواحدة، تجربة الإنسان الباحث عن اليقين والسّعادة والسّكينة... فتتجسّد رحلة جهاد أكبر ضد النّفس لغسلها من براثن الأنا وشهواتها. فهي تستسلم للموج ليلفّ ما ترفضه – ذات – فالذّات تقاوم التّطهير وتُقاد إليه. وخلال الرّحلة تعيش تجربة روحيّة وفق طريقة صوفيّة فيها التّواصل مع الأعماق يضمن التّطهير. تغرق كقارئ في الفكرة فتسكر مع البطلة، وتستسلم بدورك للموجة... وكمن يتبع معلّما روحيّا عارفا ومدركا لا يسعك إلّا تسليم نفسك للكلمات؛ لتنقلك إلى هذه التّجربة التي هي طريقة فيها الكثير من المعرفة الإنسانيّة، والوعي الكونيّ. تنقلك الكلمات بتعابير أدبيّة قرآنيّة تعطيك إحساسا بالأمان، والثّقة للاستسلام والمتابعة؛ لتبحث كقارئ عن السّكينة المرجُوّة، فتبدأ والبطلة بنثر أثواب الشّكّ والجشع والجهل والحزن، واليأس والضّغينة لتتلفّع

بأثواب اليقين، القناعة، العلم، الفرح والأمل لتمتلئ حبّا. وفي أعلى درجات النّشوة والاستغراق في إلقاء أثواب الذّات الدّنيويّة، تصحو البطلة ونصحو وإيّاها وهي تلغي إنسانيّتها وتتحوّل إلى عدم.. إلى اللاحياة... حينها تُبصر وتنتفض : "فبصرك اليوم حديد" . ومع حدّة البصر نداء الحكمة وعودة الحكيم، فتعود إلى دنيويّتها بخلاصة روحيّة تتلخّص بتجربة وجوديّة إنسانيّة، تختار فيها روح البطلة ما اختاره أبَوا البشريّة، الصّحوة والمعرفة رغم ما في ذلك من عذاب للذّات وتقبّل لشهواتها. آدم وحوّاء تركا جنّة النّعيم بإيعاز من إبليس. عرفا وتعرّفا إلى ذواتهما بغرائزهما، فكان الألم عقابا، ولكن لولا هذا ما كانت الحياة على الأرض. أمّا البطلة فقد اختارت الدّنيا بصبغة سماويّة. فتتبّعت إيعاز الحكمة، وتمسّكت بالصّحوة والطّهر . إنّها ليست الحياة الأرضيّة الغافلة الغريزيّة، واتّباع إبليس بل الصّحوة الكونيّة، واتّباع الحكمة نهجًا للوصول إلى السّعادة. وبذلك، تلخّص الكاتبة تجربة روحيّة مميّزة بمضمونها وصورها وموسيقاها، فتبدو بريشتها فنّانة توقظك من غفلتك بجميل الصّور "كومض الفكرة في عتم الفكر". وتسحرك بكلمات من أُمّهات قواميس الأدب حبكت أحيانا بسجع موسيقي أضفى على جماليّة الصّورة الكثير؛ موظّفة هنا وهناك جماليّات من وحي القرآن؛ لتزيد النّداء رهبة وقدسيّة، فيخوض القارئ بروحه راضِخا مستسلما، رحلة توصله إلى الشّاطئ الذي أرادت له بفكرها. وبذلك تكون قد أدّت رسالة سامية لاتّباع الصّحوة والحكمة كنهج نحو السّعادة الأرضيّة.

د. هند اسماعيل

انزلاق ذاكرة/ كاملة بدارنة

حضّرت "أم العبد" طعام العشاء مثلما اعتادت كلّ يوم، قبيل غزو سحابات الليل لنور النّهار، ووضعته على طبق القشّ الذي تحتفظ به كقطعة خاصة من (جهاز) عرسها، ويحتل مكانته على الطاولة الخشبيّة فوق "الجاعِد" في الغرفة التي كانت ديوان أبي العبد سابقا.

دعت أبا العبد لتناول طعام العشاء أكثر من مرّة؛ لأنّه بات يكثر من التّحديق فيما حوله ، ولا ينتبه لها كثيرا عندما تريد محادثته .

والأنكى من كلّ ذلك أنّ شهيّته للطّعام لم تعد كما في السّابق، حيث أصبح يعاف معظمه، فراحت تبذل جهدا في تنويع الطّعام وتشدّد على تحضير أطايب المأكولات.

تلاحظ في الآونة الأخيرة أنّ زوجها الشيخ قد أخذ يقلّل من الكلام أيضا، وأحيانا يبدأ بخوض أحاديث دون توقف حتّى تطلب منه ذلك . وصوته الذي كان يجلجل هازّا جدران ديوانه قد بدأ يخفت.

جلس الاثنان حول مائدتها التي امتصّت أخشابها عصارات أحاديثهما، والتي هي أشبه ما تكون بالقرص الإلكتروني الحديث، الذي خزن ملفات قُرئت صفحاتها السّريّة والجهريّة طيلة عقود عدة، ولكن هيهات استرجاعها!

ما إن بدأ أبو العبد البسملة حتى أتبعها بجملة أثارت دهشة أم العبد " في العرض وفي الأرض، ضربتين في الرأس بوجعوا يا "أبو السّعيد".

بدأت تتلفّت حولها لتتأكد من خلوّ المكان، وراحت تكثر من قراءة البسملة واضعة يدها فوق رأسه؛ ظنّا منها أنّ نوبة السّخونة قد عاودته. لكنّها استبعدت ذلك بعد أن أحسّت أنّ حرارته عاديّة، وبدأت تذكّره أنّ أبا السعيد قد افتقده الله برحمته، وأنّ الخبر

قد بلغهم من أحد الأقارب، الذي وصل من لبنان لزيارة فلسطين قبل مدّة ليست بقليلة.

هي تفهم المصيبة التي حلّت بأبي السعيد، وبكثيرين بسبب التّهجير وخسارة آلاف الدونمات. ولكن أيّة مصيبة في العرض تلك التي يتحدث عنها زوجها ؟!

توقن أم العبد أنّ عائلة أبي السّعيد عائلة ذات سمعة طيّبة، ولا يمكن لإنسان أن يمسّها بالافتراء عليها حتّى ولو كان "أبو العبد" : المختار سابقا!

تجاهلت ما تلفّظ به، وعزت ذلك لقلّة نومه ولحالات الشّرود التي تصيبه، فقرّبت الطّعام منه والحّت عليه أن يأكل.

التهم لقمتين وحدّق في الطّعام، وأعاد جملته على مسامعها، فأيقنت جدّيّة الأمر، وانتفضت لتغلق باب الدّيوان الذي يُسمع صرير "رزّاته" العالي معلنا لأولادهما أنّ وقت نوم الشّيخين قد حان. في هذا اليوم كان الإعلان قبل الوقت المعتاد.

اتّخذت مجلسها مكان مائدة الطّعام التي أزاحتها جانبا، وحدّقت في وجه أبي العبد سائلة إيّاه:

هل تقصد أبا السّعيد الشّريف ذا الحسب والنّسب، صديق طفولتك وشبابك يا أبا العبد؟!...

"في العرض وفي الأرض – ضربتين في الراس بوجعوا يا أبو السعيد".

هزّت أم العبد كتفه لتتأكّد من صحوته فاحتجّ صارخا:

لقد آذيت كتفي، اتركيني وأكملي طعامك. فرفضت وأصرّت أن يجيبها وأن يخبرها قصّة أبي السعيد.

أمسك سبحته وبدأ يحرّك حباتّها بغضب وبسرعة، وأكمل حديثه :

"آه يا أخي أبو السعيد". سأجد لك حلّا لمشكلة ابنتك (صبريّة) وأحمي سمعتك

وكرامتك ، مع أني كنت أطمع بمصاهرتك وتزويج صبريّة لابني "العبد" بعد بلوغهما.

أحسّت أم العبد بغصّة في حلقها وكادت تختنق لولا أن تداركت الوضع بجرعة ماء من الجرّة القريبة وصاحت:

صبريّة! ... ماذا فعلت لتقول عنها هكذا؟!.

لم يعرها اهتماما وأكمل: صبريّة فتاة القرية الجميلة التي خرجت عصر أحد الأيّام ، وغابت شمس ذلك النّهار ولم تعد.

خرج رجال القرية يبحثون عنها فأخبرهم أحد الرعاة أنّه رآها تدخل المغارة القريبة من عين الماء، وكانت تمشي على غير هدى.. وشاع أنّ الضّبع قد أستجرّها إلى المغارة، فقرّر الشّبان دخول المغارة إلّا انّ خالتها تحدّتهم جميعا وقالت:

أنا سوف أدخل وأقتل الضّبع. وطلبت منهم الابتعاد قليلا أو الرّجوع للقرية؛ لأنّ الأمر يتطلّب بعض الوقت للاحتيال على الضّبع!

دخلت المغارة، وبعد فترة قصيرة خرجت صبريّة، والدّم يلطّخ ملابسها بعد أن جرحت للتخلّص من تأثير الضّبع المخدّر لحواسّها وتعود الى صحوتها، ولا تعيش طيلة عمرها مضبوعة! وشهدت القرية للخالة بشجاعتها وجرأتها.

بدأ صوت أبي العبد يعلو، وكذلك صدره أخذ يعلو وينخفض صائحا: "هيك عملت يا صبريّة!

صبريّة التي خدعها أحد شبّان القرية وراودها عن نفسها حتّى أوقعها، وصارت تقلّل من الذّهاب مع البنات إلى العين، حتى أجبرتها أمّها على الاعتراف لها بحالها بعد أن لاحظت استدارة بطنها وانتفاخها، فجنّ جنونها؛ لأنها سوف تُطلّق، وابنتها سوف تُذبح اذا ما اكتشف أبوها أمرها، وهرعت تستدعي أختها طالبة مشورتها بالحلّ السّاتر!

يومها جاءتني أختها طارقة باب مضافتي بعد خلوّها من مرتاديها ، ووقفت في الباب مستنجدة: "طَنيبِة عليك يا مختار" .

طلبت منها أن تدخل وتستريح وتفرغ جعبة غضبها وقلقها.

جلست تحدثني وتستحلفني بالله الّا ابوح بالسّر – وكيف أبوح بسرّ أبي السعيد؟! –وطلبت مني أن أجبر الشاب على الزّواج من صبريّة وأن أسكنهما في مكان بعيد، في إحدى مزارعي بحجّة أنّهما يعملان في فلاحة الأرض.

خلال جلساتي وأبي السّعيد لإقناعه بتزويج ابنته، وردت أخبار أنّ عساكر "الهجانا" يهاجمون القرى، وأنّ هناك مواجهات مع الثّوار، فأجّلنا أمر صبريّة" . حان وقت ولادتها ولما جاءها المخاض، أرسلتها خالتها التي كانت تراقبها وتأمرها بربط زنّار على بطنها، ولبس الملابس الفضفاضة، إلى مغارة الضّبع وأخبرتها أنّها ستلحق بها لتساعدها.. ذهبت صبريّة إلى المغارة قبل أن تحتلّ جحافل الليل مروج القرية ثمّ تبعتها الخالة، التي أبلغت القوم أنّها ستخلّص صبريّة من الضّبع.

وضعت مولودها والخالة تدعو أن يموت الاثنان؛ لتعلن للملأ أنّ الضّبع كان الأقوى، ولكن هيهات !

ها هو المولود يصرخ معلنا مجيئه للحياة، فتطلب من صبريّة أن تخرج بعد أن صبغت جزءا من ثوبها بدمها، مقنعة إيّاها أنّ عارها هكذا يُمحى.

ازداد عويل الوليد بعد خروج أمّه، والخالة تذرع المغارة جيئة وذهابا ثمّ انكبّت على الأرض تحفرها بأظفارها، وكأنّ أحدا يسابقها، وتوقف حفرها لتضع يدها على فم المولود لتسكت بكاءه ثمّ تضعه داخل الحفرة جانب المغارة، وتنفض التّراب عن ملابسها قائلة:

تخلّصنا من عارك يا صبريّة! وسيجبر المختار من دنّس شرفك أن يتزوجك بعد تحقيق الانتصار على العساكر.

وعادت إليّ الخالة طالبة مني التّعجيل في الأمر بعد أن دفنت في صدري سرّ ما فعلت!

وتصيح به أمّ العبد يا ويلتاه!

ماذا أصابك يا"أبو العبد". أنت لم تغتب أحدا في حياتك ولم تسئ إلى أحد، فكيف تسيء الآن إلى سمعة صاحبنا- رحمه الله- وسمعة ابنته؟!

لكنّ أذنيّ أبي العبد لا تريدان أن تسمعا. ويواصل تحديق عينيه وتحريك شفتيه " في العرض وفي الأرض – ضربتين بالراس بوجعوا يا "ابو السعيد".

وبعد أن أقنعتُ أبا السعيد بتزويج صبريّة، وأثناء التّحضيرات لعقد قران الشّاب الذي هدّدته بالقتل – اذا لم يتزوجها- هجم اليهود على القرية وأخرجنا تحت قصف المدافع!

ابعثي بأحد لاستدعاء أبي السّعيد إلى المضافة، فانّي لم أره منذ مدّة.

أريد أن أخطّط وإيّاه ماذا سنفعل إذا ما هاجمنا اليهود مثلما هاجموا غيرنا .

سكت قليلا وقال: هيّا بنّا نذهب إلى بيتنا . ما الذي جاء بي إلى هنا ؟

عند ذلك فقط تأكدت "أم العبد" أنّ شريك حياتها ليس بخير، فهرعت تستنجد بأولادها لإحضار الطّبيب مولولة:

يا لمصيبتنا! ما الذي أصاب المختار "أبو العبد"؟!

يومها قرّر الطّبيب أنّ ابا العبد بدأ يفقد تدريجيا زمام السّيطرة على عقال ذاكرته .

وصاحت أم العبد :

الضربتان الموجعتان الآن هما في رأسي ورأسك يا أبا العبد !

قراءة ثقافيّة في قصّة "انزلاق ذاكرة"

توطئة

ثمة اختلاف بين النصوص التي يكتبها الرجل والأخرى التي تكتبها المرأة . وهناك لمسات وفوارق جذريّة في كلّ نصّ ، ويعود ذلك للاختلاف العاطفيّ والثقافيّ والاجتماعيّ والنفسيّ لكليهما – ولهذا ستحاول القراءة الكشف عن صوت الأنثى في النّصِّ والعمل على تحليله وتأويله في قراءةٍ ربّما تكون بعيدة حتّى عن مبدعة القصةِ ذاتها – فالرجل يرى أن السلطة له ، وما المرأة إلا تابع . والمرأة هي الأخرى ترى الظلم قد وقع عليها، لهذا فهي تحاولُ بكلّ جهودها التخلّص من ذلك الظلم ، وهذا يتجسّد في النصوص التي تكتبها المرأة لتعبر عن ذاتها وتنتصر ولو ورقيّاً ولغويّاً على سلطة الرّجل عبر التّغييب لصوت الرجل وحضوره نصّيّاً والتقليل من شأنه وإعطاء المرأة شيئاً من مكانتها وتجتهد في إظهار المرأة بكمال وحكمة ممّا يجعل المتلقي يتعاطف معها وعندها يتغير موقفه تجاهها .

قصة " انزلاق الذاكرة " الرجل فيها ليس ذا أهمية في صنع الأحداث بل كان عالة على المرأة البطل " أُم العبد " ، لذا فهو نصّ أُنثويّ بامتياز . إِذ إِنَّ الأدب النسويّ هو (كلّ أَدب يعبر عن نظرة المرأة لذاتها ، أو نظرتها للرجل وعلاقتها به ، أو يهتم بالتعبير عن تجارب المرأة اليوميّة والجسديّة ، ومطالبتها الذاتيّة) . وقد انتصرت الكاتبة " كاملة بدرانه " للمرأة بصورة كلّيّة بعد غياب القوة والعقل عن الرجل البطل ، ذلك الرجل الذي سلب من المرأة القوةَ العقليّة وجعلها مجرد عاطفة وجسد فقط على مرّ الزمان .

لم يكن مصطلح الأَدب النسويّ متفق عليه ، إذ الخلاف قائم بين الرفض والقبول ؛ لِـ(أنّ الأدب النسويّ ، يشير آلياً إلى آخر رجاليّ والذي يشير بدوره إلى وجود خصوصيّة

واختلاف في طرق التفكير وبالتالي في الكتابة والطرح ومن ثمّ تعددت الآراء وتضاربت بخصوص هذا الأدب ؛ بين مؤيد جعل من ذلك الاختلاف والمغايرة ضرورة إبداعيّة قد تكسب مشروعي وهوية هذا الأدب وبإزالة تلك الفوارق يفقد هذا الأدب هويته وكيانه . ومعارض جرد الأدب النسويّ مشروعيته وأحقيته في الكتابة والإبداع ، لأنه تجرأ على كسر أعراف وطقوس سنتها المؤسسة الاجتماعيّة وتحديداً الذكوريّة) ، فليس بالأمر السهل رفض الأدب النسويّ ، ولاسيما ويلاحظ القرّاء اختلافات كبيرة في النصوص التي تكتبها المرأة عن تلك النصوص التي يكتبها الرجلُ ، وبالطبع ليست المسألة مطلقة ، فثمة نصوص تكتبها المرأة وهي منساقة خلف النسق الذكوريّ المتحكم والمتسلط على المرأة كما تجلى ذلك في كتابات الخنساء الشاعرة الجاهليّة ، ومن ثَمَّ فَـ(مصطلح " الأدب النِّسويّ " قلقٌ ، يسمح بالقبول والرّفض ، ويتيح الفُرَص لتحكُّم الإيديولوجيّات في تفسيره) . وليس الرفض والقبول من قبل الرجل فحسب بل شاركته المرأة المبدعة في ذلك .

العنوان

الموروث الأَدبيّ والثقافيّ الذي يمثّل الذاكرة هو ذكوريّ ولا أحد ينكر ذلك ، وقد غُيّبت المرأة وقُلِّل من شأنها ونظر إليها على أنّها جسد أو سلعة للمتعة لا غير ؛ لأنّ هناك اعتقاد بارتباط المرأة بجسدها ، والرجل بعقله ، وهذا جعل الرجل يسيطر فكريّاً وسياسيّاً وثقافيّاً ودينيّاً ، واقتصر دور المرأة على حفظ النوع ، وتربية الأطفال ، وإعداد الطعام ، إِنَّ هذا الفكر اجتاح (كافة كتابات الثقافة الغربيّة من أوديب في العصر الإغريقيّ ما قبل الميلاد حتّى عصرنا هذا وتجسد في أشهر الأعمالِ الأَدبيَّة وَأَبطالِها ، وهو مسار يعزز سمات الذكورة وطرق مشاعرها ويستقصي الاهتمامات الذكوريّة في حقول مقصورة على المذكر . وبالمقارنة مع هذه المركزيّة تتسمّ المرأة بالهامشيّة والدونية وتعرض على أَنَّها كماليّة ثانويّة أَو مضاد مقابل لرغبات الرجل ومؤسساته) ، هذه الذاكرة تنزلق مع هذا النصّ ويفتقد الرجل مكانته وسلطته وحكمته وقوته ، وتزل قدمه عن عرش السيادة لتعتلي المرأة عرش السيطرة بعد غياب القوة الذكوريّة وفقدانها ذاكرتها التي حكمت المرأةَ سنين طوال ، (إذ إنهم ، طَوَال التاريخ ، أسياد التعبير الأدبيّ . وهي ، طَوَال التاريخ نفسه ، مُغيَّبة مهمَّشة) ، وعليه فالعنوان موفق في إيصال الفكرة ،

وانتصار المرأة على تلك الذاكرة البعيدة والعميقة في جيوب التاريخ ، ولتظهر المرأة وتأخذ دورها وتكون لها القيادة الكلمة . وتتفق (الدراسات بأنّ العنوان يحمل وظيفة عضويّة وتمهيديّة ، إذ يعدُّ عتبة يتمّ عن طريقها الولوج إلى عوالم النصّ ، وعنصراً مساهماً في تفجير سيرورة الانفتاح التأويليّ . ومن جهة أخرى يتداخل مع النصّ تداخلاً جدليّاً ؛ لأنه يساعد على فهم النصّ) ، وانزلاق الذاكرة عنوان مبهم أي ذاكرة التي انزلقت ؟ وكيف كان الانزلاق ؟ هنا نجحت الكاتبة في إضفاء عنصر التشويق على العنوان الذي يجعل القارئ يسارع في معرفة الانزلاق ونوع الذاكرة ، وتعطي القصة بصورة طبيعيّة وسطحيّة دلالة ظاهرة للذاكرة والانزلاق ، لكن عند المتأمل نوع آخر من الذاكرة والانزلاق وهو ما تراه هذه القراءة .

غياب الرجل وانتصار المرأة

غياب الرجل تجسد عبر أكثر من فقرة أو مقطع ومنها على سبيل المثال : -

ابتداء من الرجل الذي افتقد الذاكرة والمرأة حاضرة بكلِّ قواها الجسديّة والعقليّة والعاطفيّة ولم تفقد شيئاً ، وهنا يصبح الرجل عديم الأهمية وفي المقابل تتزايد أهمية المرأة ، وتقع المسؤولية على عاتقها ، ومن ثم تزاول البطلة دورها بكلّ قوة ، وبصورة منطقية يزحزح الرجل عن مكانته وسلطته لتأخذ المرأة الدور بعدما غُيبت طويلاً ، وقد سعى الخطاب النسويّ (بدأب إلى تقويض فكرة التمركز حول الذكورة وإنتاج خطاب يعيد للمرأة كينونتها عبر الكتابة) ، وقد نجحت في ذلك .

الشباب والخالة ويظهر ذكاء المرأة وقلّة ملاحظة الرّجل ونقص في دهائه ، أو انتصار المرأة بخداعها وحنكتها . وهنا تحاول المرأة استعادة الاعتبار لها ، فقد كان ثمة تأكيد (على أَنَّ الرجلَ عقل والمرأة جسد ، من خلال كتابات فلاسفة عمالقة مثل سقراط وأفلاطون وداروين وكانط وشوبنهاور وغيرهم . بل أن فرويد رائد التحليل النفسيّ أكّد بدوره أن الاختلاف النوعيّ والجوهريّ بين المرأة والرجل ، جعلها رجلاً ناقصاً) ، وفي الأخير انتصار المرأة ومخططاتها ، وهنا أيضاً تعطي المرأة مكانة كبيرة وكلمة قد غيبت طويلاً فليس للمرأة كلمة مع السلطة الأبويّة " البطريركيّة " . الرجال في هذا المقطع عنصر ثانوي مكمل للسّرد لا غير. فهم شخصيات ثانوية لا حول لهم ولا قوة

أمام سلطة المرأة ، ويتنازل الشباب دون أي مسوغ ويتركون الأمر للخالة التي ظهرت حكيمة وكيّسة.

الرجل يفقد ذاكرته وتنتصر المرأة بحضور عقلها وكامل قواها الذهنيّة ، بل وحتّى خاتمة النصّ بعد مجيء الطّبيب تصرح " أم العبد " بفقدان ذاكرة زوجها وانزلاقها. وفي هذا التصريح أمر مهم وهو عدم صلاحية " أبو العبد " لتولي الأمور فيكون حضوره ثانوياً وعارياً من الأهمية ، لتستلم هي زمام القيادة بما تمتلكه من عقل وقوة وسيطرة على أقولِها وأفعالِها . وهنا أيضاً تركز الكاتبة على قضية مهمة وهي العقل وسيطرتها على ما تقوله وتفعله ، فقد أهملت زمناً بعيداً بحجة أنّها لا عقل لها ، وأنّها تقول بلا وزن ، وأنّها تحكمها العاطفة وأنّها ضعيفة ، وقد اتصف الخطاب الموروث (بالتعسف في نظرته إلى المرأة التي ربطها بالدونية ، فنظر لها على كونها محض أداة للإمتاعِ الجنسيّ وعدَّها جسداً لا عقل له) . لكن مع انزلاق ذاكرة الرجل تسترد مكانتها وأهميتها ، أو تحاول إيصال رسالة إلى الذكور بأن المرأة تمتلك القوة العقليّة الكافية .

المضمون بكليته انتصار للمرأة وإظهار الجانب السلبي من الرجل ، وتقويض هيمنته التي أخذت كثيراً من المكانة وعملت على تهميش المرأة ودورها في الحياة . وعليه فَـ(الكتابة النسويّة تبقى حلقة من حلقات الإبداع الأدبيّ لها سماتها الفنّيّة والموضوعيّة التي تكسبها الخصوصيّة والتفرد) ، وهذه الخصوصيّة لا يجدها القارئ المستهلك ، ولا يشعر بها سوى المتمهل بقراءته ، الذي يحاول التركيز في ثقافة النصّ والبحث عن بعض أسراره .

وقفات مع بعض الفقرات

((والأنكى من كلّ ذلك أن شهيّته للطعام لم تعد كما في السّابق، حيث أصبح يعاف معظمه، فراحت تبذل جهدا في تنويع الطعام وتشدّد على تحضير أطايب المأكولات.))

تظهر المرأة بصفة حميدة وهي خدمة الزوج ، وهنا دليل على رقي خلقها وكمال عاطفتها

((بدأت تتلفّت حولها لتتأكد من خلوّ المكان، وراحت تكثر من قراءة البسملة واضعة يدها فوق رأسه، ظنّا منها أن نوبة السّخونة قد عاودته))

الصفة الأخرى الحميدة التي تتصف بها المرأة هي الحكمة ، فتتظاهر بالحكمة ومعرفة الأمور وتحاول أن تعرف السبب من وراء ما يحصل لزوجها فهو يمرّ بحالةٍ غير طبيعيّة ، والرجل يفتقد من تلك المركزيّة التي يسيطر عليها ، وتترأس المرأة تلك المكانة ، وهنا بدأت بتقويض مكانة الرجل ، وذلك بعد أن جردته من الفعل المعقول أي يعمل بلا وعي.

((تجاهلت ما تلفّظ به، وعزت ذلك لقلّة نومه ولحالات الشّرود التي تصيبه، فقرّبت الطعام منه والحّت عليه أن يأكل.))

هنا تؤكد مكانتها الأنثويّة وتغيب الرجل من مسرح الفعل ، وإنه مصاب بشرود ، وتبقى هي التي تسير الأفعال ، وذلك بالإلحاح عليه بِأَنَّ يمارس الفعل معها .

((وانتفضت لتغلق باب الديوان الذي يُسمع صرير "رزّاته" العالي معلنا لأولادهما أنّ وقت نوم الشيخين قد حان))

الفعل للمرأة وهي التي تسير كلّ الأشياء ، فحتّى المأوى هي تعلن عنه ، مع تغيّيب دور الرجل القائد فيما مضى .

(هزّت أم العبد كتفه لتتأكّد من صحوته)

تنظر إلى الرجل نظرة غريبة بفقدانه التركيز أو الحضور العقليّ ، وهي التي تقوم بالفعل وهو ساكن متسمّر في مكانه .

((خرج رجال القرية يبحثون عنها فأخبرهم أحد الرعاة أنّه رآها تدخل المغارة القريبة من عين الماء وكانت تمشي على غير هدى ، وشاع أنّ الضّبع قد أستجرّها إلى المغارة، فقرّر الشّبان دخول المغارة إلّا انّ خالتها تحدّتهم جميعا وقالت:

أنا سوف أدخل وأقتل الضّبع. وطلبت منهم الابتعاد قليلا أو الرّجوع للقرية. لأن

الأمر يتطلّب بعض الوقت للاحتيال على الضّبع))

هذا المقطع يظهر لنا ثنائية الرجل الطائش والمرأة الحكيمة ، والانتصار في الأخير للحكمة وفشل الشباب بكلِّ ما لديهم من قوة ويفاعة ، وهنا يكون الانتصار للمرأة على حساب الرجل وعقليته . وفي النهاية يعترف الرجال بذلك الانتصار (وشهدت القرية للخالة بشجاعتها وجرأتها) وهو في الحقيقة التركيز على دور المرأة واثبات مكانتها وحنكتها وقدرتها العقليّة في التعامل مع أصعب الأمور ، وهو ما تحاول المرأة أن تبرهن عليه من خلال كتاباتها التي تهمش دور الرجل وتأخذ مكانة مهمة وكبيرة في التحكم بمجريات الأحداث ، والظهور بالحكمة والفطنة والقوة وهذه الصفات التي سلبها الرجل فيما مضى من المرأة . فهذه العبارة تحمل خطاباً تضعُ فيه المرأةُ الرجلَ أمام ما يريدُ تجاهله منها .

((هيك عملت يا صبريّة!

صبريّة التي خدعها أحد شبّان القرية وراودها عن نفسها حتّى أوقعها))

نظرة الرجل للمرأة السيئة ، وبالرغم من ذلك نلاحظ أنّ القاصة جعلت الفعل خداعاً ، وهنا يخفف من وطأة الفعل الذي قامت به صبرية ، وحتّى بداية الفعل كانت من قبل الرجل المخادع غير السويّ ، أيّ لم يمتلك الرجل صفة حميدة بل الخداع للفتاة البريئة ، ممّا يخفف من جسامة فعل المرأة .

((ابنتها سوف تُذبح اذا ما اكتشف أبوها أمرها، وهرعت تستدعي أختها طالبة مشورتها بالحلّ الساتر!))

ظهور الأب بسيفه الناقم وليس بالحكمة كما كان ظهور الأخت التي ستجد حلّاً وستراً لذلك العمل الفاضح . وتتجلى ثنائيّة الموقف بين الرجل والمرأة .

((خلال جلساتي وأبي السّعيد لاقناعه بتزويج ابنته،)) الفعل الذي ترافقه الحكمة والحلّ هو من عند النساء.

((يومها قرّر الطّبيب أنّ ابا العبد بدأ يفقد تدريجيا زمام السّيطرة على عقال ذاكرته .)

هنا الجملة النسقية التي بني عليها النصّ وهي أنّ الرجل انزلقت منه تلك المركزيّة وانتصرت المرأة بظهورها على مسرح الأفعال ، والتغييب شبه الكلّي للرجل وإعطاء المرأة المكانة التي تستحقها ؛ لأَنَّ الثقافة السائدة (تهيئ هيمنة الرجل ودونية المرأة في كافة مناحي الحياة ومفاهيمها) ، وتلك الثقافة حاولت هذه القصة زعزعتها وتفنيد أسسها ، بآلية منطقيّة عاطفيّة .

obeikandl.com

المصادر :

- الأدب النسويّ بين المركزيّة والتهميش : أ.خليل سليمة وأ.مشقوق هنية ، جامعة قاصدي مرباح – ورقلة – الملتقى الدوليّ الأول في المصطلح النقديّ يومي 9 – 10 مارس 2011 م .

- حُدود التأويل قراءة في مشروع أمبرتو إيكو النقدي : وحيد بن بوعزيز ، منشورات الاختلاف ، الجزائر العاصمة – الجزائر ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت – لبنان ، ط 1 ، 1429 هـ = 2008 م .

- الخطاب الروائي النسوي : د. سهام أبو العمرين ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، 2011 م .

- دليل النَّاقِد الأَدبيّ : د . ميجان الرويلي ، و د . سعد البازعي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء – المغرب العربي ، ط 3 ، 2002 م .

- الرواية النسوية الخليجيّة : د. سمر روحي الفيصل ، مجلة الموقف الأدبيّ ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، عدد 448–447 تموز – آب 2008 م .

- مدخل في نظريّة النقد النسويّ وما بعد النسويّة : حفناوي بعليّ ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت – لبنان ، منشورات الاختلاف ، الجزائر العاصمة – الجزائر ، ط 1 ، 1430 هـ = 2009 م .

- موسوعة النظريات الأَدبيّة : د . نبيل راغب ، الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان ، ط 1 ، 2003 م .

منتظر السوادي

30 / 8 / 2012م

obeikandl.com

بِرُ العُقوقِ/ كاملة بدارنة

أَيُّها المُعَشِّشُ في خَلايا الفِكْرِ والرّوحِ ضارِبًا فيها أَطْنابَ مُسْتَعْمَراتِ الأَشْواقِ إِلَيْكَ ، تَجوبُ فيها فَتَجْعَلُها رَوْضَةً غَنّاءَ، تَعْزِفُ طُيورُها أَلْحانَ فَرَحٍ لُقْياك ... وَتُغادِرُها فَتَنْعَبُ غِرْبانُ التَّحَسُّرِ فَقْدَ مُحَيّاك ...

رَسَمْتُ مَلامِحَكَ التي غابَتْ طَويلًا ، فَتَجَسَّدَتْ أَمامي وَجْهًا جَميلًا أَغوصُ في عَيْنَيْهِ وَقْتَ غاراتِ أَحْزاني، وَأَخْتَبِئُ بَيْنَ أَمْواجِ الزُّرْقَةِ، التي يُطَهِّرُني ماؤُها مِنْ بِراثِنِ الشَّكْوى، وَيَقيني آلامَ زَفَراتِ الحَسْرَة ... لكِنَّكَ، تَمَلُّ سِباحَتي سَريعًا، وَيَقْذِفُني مَوْجُ عَيْنَيْكَ إِلى الشّاطِئِ؛ لِأَجِدَ عَيْنَيَّ قَدْ غَطَّتْهُما صُفْرَةُ الرِّمال، وَمُنِعَتا مِنْ رُؤْيَةِ الجَمال؛ فَأَجْلِسُ عَلى صَخْرَةِ الكَآبَةِ وَأَنا أَخشى خَطَرَ الانْزِلاقِ إِلى الأَعْماقِ، وَأَسْمَعُ هُتافَ نورِ البَصيرَةِ يُناديني؛ لِيَضَعَ بَيْنَ يَدَيَّ مَجاديفَ زَوارِقِ الإِنْقاذِ، فَيَزْدادُ حَنَقي، وَأَتَمَنّى لَو أَعَدْتَني إِلى شاطِئِ أَمْواجِ عَيْنَيْكَ لِأَرْتاحَ وَأَسْتَكينَ ...لأنّك الزّوْرَق الوحيد الذي أبغي...

عَلَّقْتُ صورَتَكَ جِداريَّةً عَلى حائِطِ قَلْبي؛ كَي يُغَذّيها دَفْقُ المَحَبَّة؛ وَكَي تَكونَ الطَّبيبَ الذي يُجري لَهُ القَسْطَرَةَ إِذا ما تَراكَمَتْ فَوْقَ شَرايينِهِ زُيوتُ الشَّوْقِ إِلَيْكَ؛ وَلِتُحافِظَ على وَتيرَةِ دَقّاتِهِ إِنْ شَوَّشَها ضَغْطُ مَحَبَّتِكَ ...

انتَظَرْتُكَ في بُهَمِ لَيْلِ الأَفْكارِ نَجْمًا هادِيًا، تُمْسِكُ بِتَلابيبِ الفِكْرِ، وَتُهديهِ الطَّريقَ السَّوِيَّ؛ لِكَثْرَةِ ما يَرِدُ جَحيمَ المَشاعِرِ الذي يَحْرِقُهُ بِشُهُبِ الحَنين، وَيُبْعِدُهُ عَنِ اليَقين، فلا يظْهَرُ ولا يَبينُ ..

أَرَّقَتْني الوَحْدَةُ وَغَرَسَتْ غيلانُها أَظْفارَها في أَحْشائي، فاسْتَحْضَرْتُ طَيْفَكَ لِلإِقامَةِ

والتَّطبيبِ ، وَما هِيَ إلّا دَقائِقُ حَتّى يَخْتَفي حُضورُكَ ؛ رُبّما هازِئًا أو خائِفًا مِنْ مُواجَهَةِ غيلانِ الوَحْدَةِ التي تُغْمِدُ خَناجِرَها في دُروعِ السَّعادَةِ، إنِ اقْتَرَبَتْ مِمَّنْ تَلُفُّهُم بِرايَةِ تَعاسَتِها ، وَتَتْرُكُها تَنْهَشُ كِياني وَتَحْتَلُّ أَفْكاري، وَتُوَلي ...

سَهَّدَتْني المُتَمَنَّياتُ قابِضَةً عَلى حُروفِها، وَمُحْكِمَةً الإمْساكَ بِميمِها وَتائِها؛ لِئَلّا تَدورَ عَلَيْها الدَّوائِرُ فَتَفْلَتا وتَسْقُطا، وَتُلْغي المَنِيّاتُ بَهاءَ وُجودِكِ الوَهْمِيّ...

اخْتَطْتُ مِنَ اللَّهْفَةِ لاحْتِضانِكَ، عَباءَةً حَريرِيَّةً تَلُفُّني وَإِيّاكَ، وَتَمْتَصُّ وَهَجَ الشَّوْقِ فَيُدَثِّرُني نَسيجُها، وَيَبْسُطُ نُعومَةَ خُيوطِهِ... لكِنَّكَ، أَبْقَيْتَ اليَدَيْنِ في رَجْفَةٍ، تَحْتَضِنانِ شَوْكَ عَباءَةِ النَّكْسَةِ التي زَمَّلَني بِها صَدُّكَ ...

عَزَفْتُكَ لَحْنًا تَرْقُصُ عَلَيْهِ مَشاعِري، فَرَقَصْتَ عَلَيْها، وَعَزَفْتَ أَلْحانَ الاغْتِرابِ والجَفاءِ، وَحَوَّلْتَ الطَّرَبَ إلى حُزْنٍ وَعَناءٍ ...

هاتَفْتُكَ عِنْدَما هاجَتِ الحَواسُّ وَماجَتْ، وَعِشْتُ فَوْضى شُعورِيَّةً عارِمَةً أَتْعَبَتْني؛ فَسَمِعْتُ حَشْرَجَةً زادَتْ مِنْ حالَةِ الهياجِ، وَأَقْعَدَني القَلَقُ عَلى كُرْسِي الدُّعاءِ لَكَ بِأَنْ تُرَدَّ لِصَوْتِكَ المَوْجاتُ التي تُريحُكَ، وَتُداوي قَلَقي ... وَأَقْبَعُ مُنْتَظِرَةً سَماعَ صَوْتٍ تُشَنَّفُ بِهِ الأُذنان، وَتُخْمَدُ نيرانُ الأَشْجانِ...

تَوَهَّمْتُكَ في صَيْفِ الأَفْراحِ عَريسًا تَدعوني لِرَقْصَةٍ "زورْبيّة" تُنْسيني تَقَرْفُصَ وَجُمودَ الشِّتاءِ وَصَقيعَهُ، وَتُرْسِلُ أَفْراحي مُحَلِّقَةً في سَماءِ البَهْجَةِ... لكِنَّكَ، أَبْقَيْتَ عَواطِفي مَقْرورَةً، وَطُموحاتي مَحْمومَةً بِحُمّى القُعودِ في زِوايا اللافَرَحِ ...

ناجَيْتُكَ في أصباحِ الأَعيادِ مُفْرِقِعًا الفَرَحَ، وَعازِفًا أَلحانَ الطَّرَبِ ،وَمُضيئًا لِفانوسِ السَّعادَةِ، وَناثِرًا الحَلْوى عَلى مُرّي، وَمُبَدِّلًا نَعيبَ البومِ الذي حَطَّ على شَجَرَةِ فِكْري، بِعَنْدَلَةِ العَنادِلِ الجَميلَةِ ... مَرَّ طَيْفُكَ وَلَمْ أَسْتَطِعِ الإمْساكَ بِهِ .

أَي بُنَيّ ... تَخَيَّلْتُ.. هَمَسْتُ.. قُلْتُ.. نادَيْتُ.. صَرَخْتُ.. هاتَفْتُ.. هَذَيْتُ.. ناجَيْتُ طَيْفَكَ وَاسْمَكَ يَوْمَ تَحَلَّقَ الأَبْناءُ حَوْلَ أُمَّهاتِهِم مُحْتَفِلينَ جَذِلينَ، فَلَمْ تَسْمَعْ، وَلَمْ تَلْتَفِتْ، وَلَمْ...

وَارْتَدَّ الصَّدى يُلاطِمُ جَنَباتِ روحي وَإِحْساسي، وَاحْتَضَنْتُ خَيْبَةَ أَمَلٍ مَجيئِكِ بِذراعَيّ القَهْرِ، وَأَطْبَقْتُ شِفاهَ قُبُلاتِ الوَهْمِ عَلى الجَفافِ؛ شاكِيَةً مُحالَ التَّرطيب وَبُعْدَ التَّرْحيب ...

وَبَقيتُ واجِمَةً وَقَدْ أَخْرَسَني عُقوقُكَ الذي أُسامِحُكَ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّ القَدَرَ أَقْعَدَكَ عَنْ بِرّي حينَ عَقَني بِتَغييبِكَ عَنّي لِحِكْمَةٍ شاءَها... حِكْمَةٍ بَذَرَتْ في داخِلي بِذْرَةَ يَقينٍ أَخْبَرَتْني وُرَيْقاتُها التي أَيْنَعَتْ بَعْدَ حينٍ، وَنَجَحَتْ في الوُقوفِ بِوَجْهِ الرّيحِ ، أَنَّ تَقَبُّلَ عُقوقِكَ هُوَ بِرٌّ بِرَبِّ العالَمين... وَهُوَ البِرُّ العَظيمُ... وَأَنَّ عَقْلانِيَّةَ اليَقين تُحَتِّمُ أَنْ تُهْزَمَ شَهْوَةُ الحَنين .

obeikandl.com

قراءة في "بِرّ العُقوقِ"

العنوان رغم غرابته إلّا أنّ لسان حاله يتحدث عن مكنوناته، فهو البرّ والعقوق الذي أكثر ما يأخذنا إلى التفكير بالوالدين والأولاد. تقديم كلمة على أختها في العنوان إنما له هدف خاص، وهو أن هذه الكلمة هي الأهم في تسلسل الأهمية للكلمات . وبالتالي يمكن التّرجيح أن الكاتبة تميل إلى أن من كتبت له أقرب إلى البرّ منه إلى العقوق .

(أَيُّها المُعَشِّشُ في خَلايا الفِكْرِ والرّوحِ ضارِبًا فيها أَطْنابَ مُسْتَعْمَراتِ الأَشْواقِ إِلَيْكَ ، تَجوبُ فيها فَتَجْعَلُها رَوْضَةً غَنّاءَ، تَعْزِفُ طُيورُها أَلْحانَ فَرَحِ لُقْياك ... وَتُغادِرُها فَتَنْعَبُ غِرْبانُ التَّحَسُّرِ فَقْدَ مُحَيّاك) ...

تبدأ المخاطبة لهذا المتّهم بالبرّ أو العقوق، ولسنا في صدد الحكم على ذلك في البداية رغم محاولة التكهّن كما كان في عرض فكرة العنوان، ولكنّنا نقرأ في البداية مكانة هذا الذي تحدّثه ومدى تمكّنه من نفسها، وذلك من خلال اختيارها لمفردات مثل " المعشش " و " خلايا الفكر والروح " .

إنّ هذا البارّ / العاقّ قد تمكن من نفسها وروحها وفكرها

وكلمة " المعشش " ترمز دون شكّ إلى أمرين: الأول أنها تشبّهه بالطائر وهذا الطائر لم يأتِ للزيارة فحسب، وإنما ليتّخذ من هذه الخلايا مسكنا ومأوى. والعشّ هو مكان لوضع البيض فهو مكان فيه الأمان والدفء والوطن وهذا الطائر المرحّب به قد ضرب أوتادَ هذه العلاقة، وهي الشوق. فكان كمن جاء مستعمرا المكان.

كل هذه الكلمات لها دلالاتها التي تفيد التّجذّر عميقا في تربِ النفس والتّمكن من تلابيب الفكر استعمارا، ولكنه استعمارٌ محبّذ وغير مرفوض. وهذا يدل على أن هذا الطائر ليس من صنف الجوارح بل هو أشبه بالحمامة التي تسرّ رؤيتها القلوب ويطرب هَديلها الآذان .

وأقول إنه مرحّب به هذا الطائر بدليل ما يفعل وجوده في النفس والرّوح فهو يحولّها

إلى روضة غنّاء.. والروضة اخضرار وحياة وجمال غنيّة بالثمار والأعشاب والأزهار .

أما الأمر الثاني الذي توحي به كلمة " المعشش " فهي الملازمة والاستقرار. فالعشّ لا يفارقه الطير لوجود صغاره فيه إلا لجلب الطعام أي لا يكاد يفارقه.

وتنتقل الكاتبة إلى عقد مقارنة كبيرة وجميلة ترسم المكان بريشتها فيها كما تريد هي وتجعل هذا الطائر البارّ / العاقّ والذي بدأتُ ألغي عنه فكرة العقوق تجعله هو العنصر الأهم في شكل ولون المكان، وفي كيفية رؤية الكاتبة لهذا المكان، بحيث جعلته يتحكّم في عينها ونظرتها ورؤيتها!

فالمكان روضة غنّاء ما دام في هذا العشّ! والمكان يصبح قفرا موحشا بمجرّد مغادرته وغيابه عنه ولو للحظات، وهي تعلم أنه لن يغيب الا لحظات بناءً على ما تقدم من حديث، ولكنها في هذا الغياب البسيط يدخل العتم والخوف والوحشة .

وهنا تستوقفني مفرداتٌ أجدها لأول وهلةٍ متناقضة مع سابقاتها ككلمة "تغادرها " وكلمة " الفقد "، فكلا الكلمتان تفيدان الترك والرحيل دون العودة. وهنا التناقض، حيث كان ما سبق من مفردات وجودها يتطلب استخدام مفردات أخرى غير المغادرة والفقد؛ لتصوير الحالة بحيث تسمح تلك المفردات للطائر بالعودة . إلا إذا أرادتْ بذلك إظهار حقيقة أخرى تفرض نفسها في الواقع .

(رَسَمْتُ مَلامِحَكَ التي غابَتْ طَويلًا ، فَتَجَسَّدَتْ أَمامي وَجْهًا جَميلًا أَغوصُ في عَيْنَيْهِ وَقْتَ غاراتِ أَحْزاني، وَأَخْتَبِئُ بَيْنَ أَمْواجِ الزُّرْقَةِ، التي يُطَهِّرُني ماؤُها مِنْ بِراثِنِ الشَّكْوى، وَيَقيني آلامَ زَفَراتِ الحَسْرَة ... لكِنَّكَ، تَمَلُّ سِباحَتي سَريعًا، وَيَقْذِفُني مَوْجُ عَيْنَيْكَ إِلى الشّاطِئِ؛ لِأَجِدَ عَيْنَيَّ قَدْ غَطَّتْهُما صُفْرَةُ الرِّمال، وَمُنِعَتا مِنْ رُؤْيَةِ الجَمال؛ فَأَجْلِسُ عَلى صَخْرَةِ الكَآبَةِ وَأَنا أَخشى خَطَرَ الانْزِلاقِ إِلى الأَعْماقِ، وَأَسْمَعُ هُتافَ نورِ البَصيرَةِ يُناديني؛ لِيَضَعَ بَيْنَ يَدَيَّ مَجاديفَ زَوارِقِ الإِنْقاذِ، فَيَزْدادُ حَنَقي، وَأَتَمَنّى لَو أَعَدْتَني إِلى شاطِئِ أَمْواجِ عَيْنَيْكَ لِأَرْتاحَ وَأَسْتَكينَ ...لأنّك الزّوْرَق الوحيد الذي أبغي..)

لا زلنا في جحيم الغياب والحسرة في سطور كالسفينة تأخذنا فوق موجٍ عالٍ تارة وضعيف منهار تارة أخرى! ولكنّ هذه السطور تأخذُ بأعيننا الآن لمتابعة مشهد آخر من

الصراع، البحر والشاطئ ساحة له، وهو ليس أيّ بحر ولا أيّ شاطئ

إنّها عيناه هذا البارّ / العاقّ في مزج غير عادي .

تتحدّث السطور عن رسم، والرسم غير المشاهدة فهو نقل إما عن حقيقة أو خيال، مما يزيد الحيرة في النصّ حيث الحديث عن الملامح، والملامح لا تكون إلا لمن لا نعرفه محاولين أن نرسمه في دماغنا، أو عن من كان بيننا ثم غاب فطفقنا نستذكر تلك الملامح المرسومة أصلا في دماغنا .

وبعدها يأتي ما يبدأ بحل أول حلقات اللغز ، وذلك من خلال جملة " فَتَجَسَّدَتْ أَمامي وَجْهًا جَميلًا أَغوصُ في عَيْنَيْهِ وَقْتَ غاراتِ أَحْزاني " فاستخدام كلمة " تجسّدت " – أي أن هذه الملامح بعد رسمها– تجسّدت وجها جميلا. وإذا عدنا إلى فكرة أن اختيار المفردة كان بدقّة متناهية وبالتالي كان اختيار كلمة " تجسّدت " ليس عبثيا، وتذكرني بالآية الكريمة عندما تمثّل الرّوح لسيدتنا مريم العذراء بشرا " فتمثّل لها بشرًا سويّا"، ولكن هنا لم أجد تعوّذا بعدما تجسّد وجها لسببين: أن هذا الوجه كان جميلا كما أريدّ له أن يكون، والسبب الآخر أنّه من صنع ريشة الفنان وبألوانه؛ تلك الألوان التي دخلت في هذه الفقرة لتوجه الأنظار إلى قضية أخرى.

أعود إلى ذلك الوجه الجميل الذي أصبحتُ أقترب من القناعة أنه وهم وخيال إذا أخذنا الكلمة على محملها، كما فهمناها من القرآن الكريم، حيث تحدّثت الآية عن الروح والرّوح المذكورة في الآية إنما هي من العالم الميتافيزيقي، أو الآخر أو ما يسمى قرآنيا الملكوت (وهو غير الملك فالمُلك ما كان محسوسا وماديا والملكوت ما كان غيبيا)

الحزن هنا أتى على شكل غارات والغارات فيها التدمير والخوف والقهر، رغم أنها لا تكون مستمرّة. وبين الغارة والأخرى فسحة

إلا أن هذه الفسحة دائما تكون في انتظار الغارة القادمة فيكون وقت الغارة أهون .

وعند الغارة يختبئ الناس خشية الإصابة فليجأون إلى مكان هو الأكثر أمنا، فكان

اختيار الزرقة في العينين وهو اختيار موفق تشبيها للعينين بالبحر، والبحر فيه من العمق ما يحجب حتّى الضوء. وظاهر الهروب سببه كان كما ذكر التطهير.

والتّطهير لا يكون إلّا من ذنب فأيّ ذنب اقترِفَ هنا، إنه الشكوى والشكوى ليست ذنبا إذا كانت لله ربّ العالمين

كما قال سيّدنا يعقوب " وأشكو بثّي ... "

فهل كانت الشّكوى لمجرد التفكير بحق القدر في رسم طريق الإنسان ؟ أمْ كانتْ غير ذلك ؟ يبقى الجواب معلقا .

هذا العاقّ / البارّ يملُّ ضيفه (ولهذا قدمتُ الآن العقوق على البرّ) يملّه كما ملّ بطن الحوتِ يونس فقذفه إلى الشاطئ .

وأيضا هنا استخدام موفق للألوان وهذه لفتة ذكية في الاستخدام والمقارنة فالأزرق لون الهدوء والسكينة التي وجدتها في عينيه كالبحر، والصّفرة لون الوهج والنار والاضطراب والقلق وهي لون رمل الشاطئ حيث ألقاها، فكانت الرمال حجابا وسدّا. وربما أجدُ هنا شيئا عن إلصاق صفة العقوق.

وكما في البداية كان الاختيار موفقا كان هنا، فالكآبة قاسية كالصخر وسببها الحسرة التي أعادت ذكرها ليس تكرارا ولكنّه تأكيد حال .

بين السطور صراع بين النفس اللوامة والنفس الأمّارة بالسّوء وهو صراع بين الرضى والرفض. وإن كان كذلك فإنني أقرأ هنا سطورا لقلم روحانيّ هبّت عليه رياح اللّمز والوسوسة من الشيطان ليبتليه أيصبر أم يكفر .

(عَلَّقْتُ صورَتَكَ جِدارِيَّةً عَلى حائِطِ قَلْبي؛ كَي يُغَذّيها دَفْقُ المَحَبَّةِ؛ وَكَي تَكونَ الطَّبيبَ الذي يُجري لَهُ القَسْطَرَةَ إذا ما تَراكَمَتْ فَوْقَ شَراييِنِهِ زُيوتُ الشَّوْقِ إِلَيْكَ؛ وَلِتُحافِظَ على وَتيرَةِ دَقّاتِهِ إِنْ شَوَّشَها ضَغْطُ مَحَبَّتِكَ ...

انتَظَرْتُكَ في بُهْمِ لَيْلِ الأَفْكارِ نَجْمًا هادِيًا، تُمْسِكُ بِتَلابيبِ الفِكْرِ، وَتُهديهِ الطَّريقَ السَّوِيَّ؛

لِكَثْرَةِ ما يَرِدُ جَحيمَ المَشاعِرِ الذي يَحْرِقُهُ بِشُهُبِ الحَنين، وَيُبْعِدُهُ عَنِ اليَقين، فلا يظْهَرُ ولا يّبينُ ..)

صورتان جميلتان أضيفتا لهذا الحبيب وهما: الأولى صورة الطبيب الذي يداوي الألم والجراح. لا نفكّر بالطبيب إلا لوجود العلّة والمرض أوهذا استنتاج لما آلتْ إليه الأمور بسبب هذا البعد من الألم والمرض.

أما الصورة التالية فهي صورة النجم الذي هو مصدر الضوء والدفء في ليل بهيم أرخى سدوله بسبب الغياب والفقد. وهذا استنتاج آخر يدل على ما وصل إليه الحال من التّوهان والضياع، الذي لا يكون في المجتمع الحضري المنار بوسائل الإنارة التي تهدي السالكين، وكأنّ الموقف كان في ليل صحراوي معتم وشديد البرودة رغم حرارة الشوق والحنين .

صراع آخر بين الشكّ واليقين ينتهي لصالح اليقين للاستدلال به على نتيجة المعركة النهائية في هذا الصراع النفسي الغريب .

انتصار اليقين موجود باستدعاء النجم الذي ما هزمه يوم ظلام. فالنجم من جند اليقين، والظلام من جند الشكّ، وهما فريقان قد ورد ذكرهما في هذه المعركة .

(أَرَّقَتْني الوَحْدَةُ وَغَرَسَتْ غيلانُها أَظْفارَها في أَحْشائي، فاسْتَحْضَرْتُ طَيْفَكَ لِلإقامَةِ والتَّطبيبِ ... وَما هِيَ إلّا دَقائِقُ حَتّى يَخْتَفي حُضورُكَ ؛ رُبَّما هازِئًا أو خائِفًا مِنْ مُواجَهَةِ غيلانِ الوَحْدَةِ التي تُغْمِدُ خَناجِرَها في دُروعِ السَّعادَةِ، إِنِ اقْتَرَبَتْ مِمَّنْ تَلُفُّهُم بِرايَةِ تَعاسَتِها ، وَتَتْرُكُها تَنْهَشُ كِياني وَتَحْتَلُّ أَفْكاري، وَتُوَلّي ...

سَهَّدَتْني الْمُتَمَنَّياتُ قابِضَةً عَلى حُروفِها، وَمُحْكِمَةً الإمْساكَ بِميمِها وَتائِها؛ لِئَلّا تَدورَ عَلَيْهِما الدَّوائِرُ فَتَفْلَتا وتَسْقُطا، وَتُلْغي المَنِيّاتُ بَهاءَ وُجودِكِ الوَهْمِيّ...)

سلسلة أحداث ترسم ملامح اللحظة في مقابلة مؤلمة بين موقفين: الأول موقف المحتاج للشيء الفاقد له، وموقف من يملكه ويبخل به وهنا بيت القصيد، فحالة الأرق والسّهد في (أرقتني أسهّدتني) والحاجة إلى الخروج منها ومن ثم التّمسك بأن هذا الحبيب هو

السبيل هو البرّ بعينه لأن فيه الإصرار على أنّ هذا الحبيب هو الملجأ في النوازل، بينما كان موقفه عكس التوقعات عندما لم يُجِرْ من استجار ومن هو الأحق بهذه الاستجارة كما جاء في (يَخْتَفي حُضورُكَ ا وَتَتْرُكُها تَنْهَشُ كِياني ا وَتُلْغي المَنِيّاتُ بَهاءَ وُجودِكِ الوّهْمِيّ) وهنا يكمن العقوق فكان البرّ من الطرف الأول، والعقوق من الطرف الثاني وهو الحبيب المغادر .

(سَهَّدَتْني المُتَمَنَّياتُ قابِضَةً عَلى حُروفِها، وَمُحْكِمَةً الإِمْساكَ بِميمِها وَتائِها؛ لِئَلّا تَدورَ عَلَيْهِما الدَّوائِرُ فَتَفْلَتا وتَسْقُطا، وَتُلْغي المَنِيّاتُ بَهاءَ وُجودِكِ الوّهْمِيّ)

قدرةً كبيرةً على اللعبِ بأوراق الحروف وخلطها كأنها ارقام تطرح منها، وتضيف لها كما شاءت من الحروف لتصنع أفكارا جديدة مستحدثة، وهذا الاستخدام للجناس بين المتمنيّات والمنيّات، وهذه الصورة الإبداعية التي جعلت للمتمنيات يدا من حديد تقبض على حرفين مهمّين إن أفلتا فقدت الكلمة معناها، وذهب المعنى إلى ضدّه فأصبحت المتمنيات.

(اخْتَطْتُ مِنَ اللَّهْفَةِ لاحْتِضانِكَ، عَباءَةً حَريرِيَّةً تَلُفُّني وَإِيّاكَ، وَتَمْتَصُّ وَهَجَ الشَّوْقِ فَيُدَثِّرُني نَسيجُها، وَيَبْسُطُ نُعومَةَ خُيوطِهِ...

لكِنَّكَ، أَبْقَيْتَ اليَدَيْنِ في رَجْفَةٍ، تَحْتَضِنانِ شَوْكَ عَباءَةِ النَّكْسَةِ التي زَمَّلَني بِها صَدُّكَ ...

عَزَفْتُكَ لَحْنًا تَرْقُصُ عَلَيْهِ مَشاعِري، فَرَقَصْتَ عَلَيْها، وَعَزَفْتَ أَلْحانَ الاغْتِرابِ والجَفاءِ، وَحَوَّلْتَ الطَّرَبَ إِلى حُزْنٍ وَعَناءٍ ...

هاتَفْتُكَ عِنْدَما هاجَتِ الحَواسُّ وَماجَتْ، وَعِشْتُ فَوْضى شُعورِيَّةً عارِمَةً أَتْعَبَتْني؛ فَسَمِعْتُ حَشْرَجَةً زادَتْ مِنْ حالَةِ الهياجِ،

وَأَقْعَدَني القَلَقُ عَلى كُرْسِيّ الدُّعاءِ لَكَ بِأَنْ تُرَدَّ لِصَوْتِكَ المَوْجاتُ التي تُريحُكَ، وَتُداوي قَلَقي ... وَأَقْبَعُ مُنْتَظِرَةً سَماعَ صَوْتٍ تُشَنَّفُ بِهِ الأُذنان، وَتُخْمَدُ نيرانُ الأَشْجان...

تَوَهَّمْتُكَ في صَيْفِ الأَفْراحِ عَريسًا تَدعوني لِرَقْصَةٍ "زورْبِيّة" تُنْسيني تَقَرْفُصَ وَجُمودَ الشِّتاءِ وَصَقيعَهُ،

وَتُرْسِلُ أَفْراحي مُحَلِّقَةً في سَماءِ البَهْجَةِ... لكِنَّكَ، أَبْقَيْتَ عَواطِفي مَقْرورَةً، وَطُموحاتي مَحْمومَةً بِحُمّى القُعودِ في زِوايا اللافَرَحِ ...

ناجَيْتُكَ في صَباحاتِ الأَعيادِ مُفَرْقِعًا الفَرَحَ، وَعازِفًا أَلحانَ الطَّرَبِ ،وَمُضيئًا لِفانوسِ السَّعادَةِ، وَناثِرًا الحَلْوى عَلى مُرّي،

وَمُسْتَبْدِلًا نَعيبَ البومِ الذي حَطَّ على شَجَرَةِ فِكْري، بِعَنْدَلَةِ العَنادِلِ الجَميلَةِ ... مَرَّ طَيْفُكَ وَلَمْ أَسْتَطِعِ الإمْساكَ بِهِ .)

سلسلة أخرى من الأفعال الماضية لكنها هنا لم ترسم اللحظة كما سابقاتها ولكنها ترسم هواجس النفس في تلك اللحظة

في مجموعة كلماتٍ لها الجرس الموسيقي ذاته وله وقع الهزّة كمن يمسك بذراعي آخر ويهزه حين يخاطبه، ورغم أنّ هذا الحبيب البارّ هو من الوهم المحال إلا أنّ الحديث كان بلغة المخاطب.

الاشتغال على اللغة في الفقرة الأولى من مجموعة الفقرات واضح في هذا الربط والتوافق بين كلماتها (اخْتَطْتُ ، عَباءَةً حَريرِيَّةً تَلُفُّني ، فَيُدَثِّرُني نَسيجُها خُيوطِهِ ، زَمَّلَني) بما يخدم الفكرة المرجوّة، وربما لتنطلق إلى الفقرة القادمة التفسيرية لما قبلها عندما بدأت تفكك خيوط اللغز وأول هذه الخيوط جملة " أي بنيّ" .

(أَي بُنَيّ ... تَخَيَّلْتُ.. هَمَسْتُ.. قُلْتُ.. نادَيْتُ.. صَرَخْتُ.. هاتَفْتُ.. هَذَيْتُ..

ناجَيْتُ طَيْفَكَ وَاسْمَكَ يَوْمَ تَحَلَّقَ الأَبْناءُ حَوْلَ أُمَّهاتِهِم مُحْتَفِلينَ جَذِلينَ، فَلَمْ تَسْمَعْ، وَلَمْ تَلْتَفِتْ، وَلَمْ ...

وَارْتَدَّ الصَّدى يُلاطِمُ جَنَباتِ روحي وَإِحْساسي، وَاحْتَضَنْتُ خَيْبَةَ أَمَلٍ مَجيئِكَ بِذراعَيّ القَهْرِ،

وَأَطْبَقْتُ شِفاهَ قُبُلاتِ الوَهْمِ عَلى الجَفافِ؛ شاكِيَةً مُحالَ التَّرطيب وَبُعْدَ التَّرْحيب) ...

" أي بنيّ " إذن هذا هو الحبيب البارّ / العاقّ الذي كان له كلّ الهتاف والشّوق والمناجاة

(تَخَيَّلْتُ.. هَمَسْتُ.. قُلْتُ.. نادَيْتُ.. صَرَخْتُ.. هاتَفْتُ.. هَذَيْتُ.. ناجَيْتُ طَيْفَكَ)

فكان هذا أول أبواب العبور إلى الفهم فهو الابن إذًا ..

وتتالى انهيارات السدود وتبدأ الأبواب المؤصدة للنصّ بفتح نفسها بنفسها عندما يوصف هذا الابن بأنه طيف، وخيبة أمل توحي بالفقد أو عدم الوجود.

وما يهمّ أنه غير موجود وذلك يتأتى من استخدام كلمات (الطيف، الوهم، ارتداد الصدى، ذراعي القهر، محال الترطيب وبعد الترحيب)

فهذا لا يكون لموجود أبدا، خصوصا أنّ هذا الطيف كان قد مرّ ولكن دون الإمساك به.

(وَبَقيتُ واجِمَةً وَقَدْ أَخْرَسَني عُقوقُكَ الذي أُسامِحُكَ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّ القَدَرَ أَقْعَدَكَ عَنْ بِرّي حينَ عَقَني بِتَغييبِكَ عَنّي لِحِكْمَةٍ شاءَها... حِكْمَةٍ بَذَرَتْ في داخِلي بِذْرَةَ يَقينٍ أَخْبَرَتْني وُرَيْقاتُها التي أَيْنَعَتْ بَعْدَ حينٍ، وَنَجَحَتْ في الوُقوفِ بِوَجْهِ الرّيحِ ، أَنَّ تَقَبُّلَ عُقوقِكَ هُوَ بِرٌّ بِرَبِّ العالَمين...

وَهُوَ البِرُّ العَظيمُ... وَأَنَّ عَقْلانِيَّةَ اليَقين تُحَتِّمُ أَنْ تُهْزَمَ شَهْوَةُ الحَنين).

هذه الفقرة تلخّص ما كان، وتضع الإصبع على موضع الجرح، وكذلك تظهر حقيقة البرّ وسبب العقوق. فهو القدر الذي قررّه وأصدر حكمه مسبقا بتغييبه رغما عنه. وهذا هو العقوق الجبريّ، أو كما صُوّرَ بأنه عقوق القدر ليس لأن القدر عاقّ وإنما لأنّ القدر كان سببه . فهو عقوق لأنّه لم يبرّ كما يبرّ الأبناء ولكنه لم يبرّ بسبب الأغلال التي وضعتها الأقدار في يديه، وتلك الحواجز التي حالت دون قدومه ليقوم بفعل البرّ،

وبالتالي كانت المسامحة لأنه لو أتى لكان بارّا كما أرادت ريشة الكاتبة عندما قدّمت البرّ على العقوق .

م. رفعت زيتون

الفهرس

تقدمة	٥
الفصل الأوّل قرأت لهم	٧
لمبنى والمضمون في مسرحيّة «الملك هو الملك» لسعد الله ونّوس	٨
المبنى والمضمون في رواية "عدّاء الطّائرة الورقيّة" لخالد حسيني	٢١
استبدال/ د. سمير العمري	٣٠
بمعروف / د. سمير العمري	٣٦
على ثراها)قصّةٌ شاعرةٌ(/ لربيحة الرفاعي	٤٥
أضمر لدمي قبرا / لربيحة الرفاعي	٤٩
قراءة في قصيدة "قال لي حلم المساء" / لرفعت زيتون	٥٤
لو تموت الذكريات / لرفعت زيتون	٦٠
ولا في علوّ السّماء – لشريفة العلوي	٧٥
غوص في قصيدة)فتنة الماء(لتوليب محمّد	٨٠
وجُهكِ الأرابيسك – دينا نبيل	٨٥
القسم الثاني قراءات في قصص لِ (كاملة بدارنة (قرأوا لي	٩٧
العنكبوت / هشام النجار	٩٩
عيد سعيد / هشام النجار	١٠٦
ذات خريف / عدي بلال	١٠٨
بّوابات الكهف / نقّوس المهدي	١١٩
بالرّوح بالدّم / نقّوس المهدي	١٢٦
امتحان / د. محمد الشحات محمد	١٣١
رصاصة شوق – ق ق ج / أ. الفرحان بو عزّة	١٣٦
سُرُج – ق ق ج / أ الفرحان بو عزّة	١٣٧

obeikandi.com

العجوز / د. هند اسماعيل ١٣٩
انزلاق ذاكرة / منتظر السوادي ١٤٤
بِرّ العقوق / م. رفعت زيتون ١٥٧

obeikandl.com